مسارات الرعب 2

HORROR TRACKS

هيستيريا الصورة



وسام سعيد

دار دوّن

مكتبة فريق (متميزون)

لتحويل الكتب النادرة الى صيغة نصية

قام بالتحويل لهذا الكتاب:



كلمه مهمة:

هذا العمل هو بمثابة خدمة حصرية للمكفوفين، من منطلق حرص الجميع على تقديم ما أمكن من دعم للإنسان الكفيف، الذي يحتاج أكثر من غيره للدعم الاجتماعي والعلمي والتقني بحيث تعينه خدماتنا هذه على ممارسة حياته باستقلالية وراحة، وتعزز لديه الثقة بالنفس والاندماج بالمجتمع بشكل طبيعي.
وبسبب شح الخدمات المتوفرة للمكفوفين حرصنا على توفير خدمات نوعية تساعد الكفيف في المجالات التعليمية العلمية والثقافية وذلك بتسخير ما يتوفر من تقنيات خاصة لتحويل الكتب الي نصوص تكون بين أيديهم بشكل مجاني، ويمكن لبرامج القراءة الخاصة بالمكفوفين قراءتها.

مع تحيات:

فريق -متميزون-

انضم الى الجروب

انضم الى القناة

مسارات الرعب (٢)
هيستيريا الصور

رواية..

وسام سعيد

مسارات الرعب..

لقد ولى زمن الطمأنينة.. وأن تغط مسترسلاً في نوم عميق..الآن لا وقت.. فقد اندفع هدير صرخات الضحايا.. من البوابة (ن).. فلا راد لشره.. رياحُها الساخنة تقترب.. هل شممتها؟ إنها الآن خلفك.

لقد وقع في مرمى حممها الغاضبة ٤ أشخاص اختارهم القدر.. ليجدوا أنفسهم متورطين في قصصها التي لا تنتهي.. إنه فريق (مسارات نون السوداء)، الذى تكون تلقائياً، وليس اختيارياً.. وهم كالتالي:

١ - الدكتور مريد

طبيب نفسي في أواخر الأربعينيات.. يمتلك واحدة من أكبر مستشفيات العلاج النفسي والإدمان في مصر.. يسعى دائما لاكتشاف كل جديد في مجاله.

٢ - حمزة التاجي

شاب ثلاثيني.. لا يجد روحه إلا بين دفتى كتاب أو أمام «اللابتوب» الخاص به، لا يتوقف عن الإبحار في عالم (الباراسيكولوجي) وعلم النفس الموازي وعلم الخوارق، وقصص الأشباح، وتناسخ الأرواح، والقوى غير المرئية.

٣ - نزار غنيم

كاتب صحفي في مطلع الأربعينيات.. يتمتع بقدرات خاصة في الرياضة الروحية، وتمارين التحكم النفسي والذهني، نتيجة لتصوفه وحبه لآل البيت، ورغبته العميقة في الحياة.. يعشق المرح في أعتى لحظات احتباس الأنفاس.

٤ - فدوى عبد الدايم

صحفية حوادث تبلغ من العمر ٢٦ عاماً.. تمتلك ذكاءً حاداً وشجاعة تليق بطبيعة عملها.. ولكن جمالها وبراءتها الملفتان لم يشفعا لها فيما ستقبل عليه من أهوال جراء دخولها عالم (ن).

لقد غادرنا نحن سكان الأرض منذ أيام عهد السكينة.. وعبرنا دون أن نشعر أولى بوابات الظلام.. والأخطر سيتوالى تباعاً.. من الآن حاول الفرار.. والزم توازنك مهما شاهدت.. مهما انقلبت أمامك الإحداثيات واختلت القوانين.. الزم ثوابتاً عشت عليها وتفهمتها.. لعلك تخرج من قائمة ضحايا تلك المسارات المظلمة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

توقفت السيارة الفارهة أمام إحدي البوابات الإليكترونية الكبيرة لواحدة من أفخم فيلات المعادي في انتظار أن تفتح لها كتيبة الحراسة الأمنية..

ثوان معدودة وانفتح الباب بعد أن أمرهم رجل الأمن، فدلفت السيارة للداخل لتسير في ممر كبير تحيط به الحدائق والزهور من الجانبين، وما إن توقفت أمام مدخل الفيلا الفاخرة، حتى خرج منها أربعيني تبدو عليه علامات الرجل الثري كما يرسمها المخرجون في السينما.. بدانة في الجسم لكنها تليق به وتعطيه مسحة «عز»...

بدلته الفخمة ونظارته الشمسية.. ومسكته للموبايل وعلبة السجائر وميدالية المفاتيح في يد واحدة.. وتمامًا كما يفعل ممثلو السينما فور خروجهم من السيارة، وجَه نظره للأعلى في اتجاه القصر وهو ينفث دخان سيجارته في كبرياء واضح..

وبنفس هذه الملامح المتغطرسة كان بالكاد يتحدث مع موظفة الاستقبال، طالبًا منها الدخول لمقابلة مدير المصحة مباشرة.

- د. هاني الزيات

- أيوه... تحت أمر حضرتك... ماله؟!

- هو عنده فكرة إني جاى النهارده

- يعني فيه معاد حضرتك؟!

يرفع نظارته من على وجهه، فتكشف عن ابتسامة صفراء ثم يقول بلهجة استخفاف:

- هو أنا مش قلت لحضرتك.. إنه عنده فكرة إنى جاى؟!

بغيظ وحنق ترد الموظفة:

- أقول له مين؟

- المهندس شريف أخو رشا الجداوي... كانت نزيلة عندكم هنا بقالها ٣ شهور، والمفروض إنها تخرج النهارده لأنها ما بقتش محتاجة علاج... ده آخر كلام بيني وبين الدكتور هاني... كده كفاية ولا أقول تاني!!

- طب حضرتك متضايق ليه.. أنا بأسأل: أقول له مين علشان أبلغه... عمومًا عبال ما أبلغ مكتبه اتفضل حضرتك اطلع الدور الرابع.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

كان الدكتور هاني الزيات الطبيب النفسي المشهور، وصاحب أكبر وأغلى مصحة في القاهرة في توق شديد لرؤية أخو رشا الجداوى صاحبة أعجب مرض أو حالة في تاريخ العلاج النفسي، وأيضا ليتعرف على الرجل الوحيد المسئول عنها، والذى كان يتابع حالتها بالهاتف فقط خلال إقامته في لندن.

أي أخ هذا الذى يتولى الإنفاق على علاج أخته غيابيًا، ويدفع مصروفات المصحة في مواعيدها عن طريق الفيزا، ولم يفكر في زيارتها مرة واحدة خلال ٣ شهور كاملة، ولم يتحدث هاتفيًا إلا ٣

مرات.. الأولى حين علم بأن صديقات أخته قاموا بنقلها في حالة «هلع» إلى المصحة، والثانية حين أراد أن يعرف القسط المتبقي من مصروفات علاجها، والثالثة حين جاءته رسالة على «الماسنجر» من الدكتور هاني الذى يتولى الإشراف على حالتها بأنها الآن في حالة طيبة تسمح لها بالخروج.

- أهلا بحضرتك يا باشمهندس شريف..

- أهلا يا دكتور

- أنا مكلم حضرتك من أسبوع.. إيه اللى أخرك؟

- أبدًا.. بس مش المفروض إن لما أقرر آجي مصر وأنا في لندن آجي تاني يوم علطول، أنا ليا شغلي برضه ومواعيدي وترتيباتي اللي لغيتها كلها علشان آجي أشوف إيه حكاية رشا

- مفيش حكاية ولا حاجة... القصة بسيطة بإذن الله...

- بسيطة إزاي.. ده أنا ما صدقتش لما قريت رسالة حضرتك إنها بقت كويسة، بعد ما عرفت إنها دخلت المستشفى في حالة سيئة وصاحباتها شايلينها.. إزاي حالة زي دي علاجها يخلص في ٣ شهور؟!

- ومين قال لحضرتك إن علاجها خلص.. المصحة هنا دورها تتلقى الحالات الصعبة وتوقفها تاني على رجلها، وترجع لها الرغبة في الحياة والدافع من جديد، وبعدين تيجي مرحلة تانية من العلاج وهي الأهم، إننا بنتابع حالة المريض بالتعاون مع أهله وبالذات إن فيه أكتر من دواء لازم يتاخدوا في مواعيدهم

فضلًا عن إن حالة رشا وإن كانت دلوقتي مستقرة لكن وارد إن الاكتئاب يهاجمها تاني، وتحصل انتكاسة، لو حست إنها لوحدها أو حصل إهمال في الدوا.

علشان كده بأسألك... حضرتك أكيد ناوي تسافر تاني لندن.. هل هتاخدها معاك ولا هتعمل إيه؟

- أأأ.. الحقيقة لسه مش عارف... لكن أنا لازم أشوفها الأول وأقرر... بس اللي أعرفه عن أختي إنها جامدة.. وتقدر تعدي الأزمة دي... ده طول عمرها فرفوشة وبتحب الضحك والتهريج.. مش رشا خالص اللي تكتئب وتتضايق

- بص يا باشمهندس... المريض عندنا بيبقى في نظر أهله دايمًا مقصر في حق نفسه، وبيبقوا شايفين القصة مجرد اكتئاب.. وطبعًا كلمة الاكتئاب دي أصلًا عامة ومش معبرة فعليا عن تفاصيل حالة المريض الحقيقية

- طب هي عندها إيه؟

أخذ د. هاني نفسًا عميقًا وهمَ بالإجابة، لكن شريف بادره فورًا:

- اا استنى... استنى يا دكتور... ما تحكيش... أنا أصلًا ما باستحملش الحاجات دي... بس عمومًا مش أنت بتقول إنها بقت كويسة.. خلاص سيبنا م اللي فات... افتكر نشوفها بقى ونطمن عليها علشان نلحق نروح

د. هاني ينظر لشريف بابتسامة تعجب واندهاش من طريقة تفكيره، ويتردد داخله سؤال واحد: انتوا إزاي إخوات؟!

وبحسم رفع سماعة الهاتف وطلب من الممرضة استدعاء رشا من غرفتها، وما هي إلا دقائق وكانت رشا ممسكة بحقيبة ملابسها وواقفة على باب غرفة الدكتور هاني، وكأنها تمتنع عن الدخول

- إيه يا رشا فيه إيه؟!... أنت حالفة ما تخشي ولا إيه؟!... أنت مش شايفة مين ده؟!... المهندس شريف أخوكي!!

تخلى شريف عن تحفظه وتصنعه ونهض واقفًا متحمسًا لرؤية أخته بعد فراق دام ١٠ سنوات، واقترب منها مسرعًا ليعانقها، ولكنها قابلت إقباله ببرود ومدت يدها في رفض واضح لأحضانه الكاذبة قائلة:

- أهلًا يا شريف

تسمر شريف في مكانه واستدار د. هاني بكرسيه للخلف في اتجاه النافذة منعًا لأي حرج قد يستشعرونه.

بنظرة إحراج وغيظ مد شريف يده ليأخذ الحقيبة، ثم لوح للدكتور هاني بيده في إشارة شكر قائلًا:

- شكرًا يا دكتور على مجهودك... وعمومًا خلينا على تواصل.. شكلنا كده هنحتاجك كتير

- أهلًا بيك طبعًا في أي وقت.. وبالنسبة لك يا رشا.. إحنا اتفقنا خلاص على جدول الدواء ومواعيده، والتمارين اللى مش هنبطلها أبدًا.. وتليفوني معاكي... كلميني في أي وقت

فيمد يده من بعيد لتصافحه... فتنظر لحظات ليده في امتعاض.. ثم تقرر أن تدخل الغرفة بخطوات سريعة نسبيًا وتمد يدها وتصافحه سريعًا ثم تنصرف بسرعة وكأنها تهرب من شيء ما داخل الغرفة بل بالقرب من مكتب الدكتور هاني، وبالطبع لم يغب ذلك عن باله، فجلس على مكتبه متنهدًا في عمق وقلق، ثم أمسك ببرواز لصورة كبيرة كانت على حافة مكتبه الأمامية في اتجاه ضيوفه الجلوس أمامه.

كانت الصورة للدكتور مع زوجته وطفلهما الوحيد ولكنها كبيرة الحجم بما يكفي للفت انتباه كل من يجلس أمام المكتب...

فأمسكها الدكتور هاني ونظر إليها وطفق يفكر، وملامحه تقول إن الأيام القادمة تحمل المزيد من المفاجآت على يد هذه الفتاة الثلاثينية.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

في السيارة كانت رشا متوقعة كل محاولات شريف لاسترضائها ومصالحتها، فبدت صامتة موجهة نظرها للنافذة كي لا تعطه فرصة الحديث.

وبالطبع كان شريف ممتلئا بالحرج، والشعور الحقيقي الفطري بالشفقة على أخته خاصة وهو يدقق التأمل في خصلات شعرها الأبيض المتناثرة وسط اللون الكستنائي الجميل، ووجهها الشاحب وتلك الهالة السوداء المحيطة بعينيها، وجسمها النحيل

وفي رأسه يدور ألف سؤال:

ما الذى حول فتاة جميلة تخطت عامًا واحدًا بعد إتمام عقدها الثالث إلى هذا الحطام؟!

أين ذهبت روحها المرحة وحبها للضحك والسهر والأصدقاء؟... حين كانت «دلوعة» العائلة وقت أن كانت صغيرة.

وحتى بعد وفاة والديها ظلت «رشا» ترفل في حلل الدلال.. وتتصرف بحرية مطلقة أثارت حفيظة جدتها... فمن أين جاءت هذه الأزمة النفسية؟!

هذه التساؤلات تعد منطقية، حينما تصدر من رجل مثل شريف الجداوي.. عاش وحيد والديه،عمرًا طويلًا حتى بلغ الثامنة عشرة، ورغم استمتاعه برفاهية الأثرياء، إلا أنه عانى من قسوة والده وعدم اهتمامه به، وتجاهل أمه أيضًا، حتى جاءت أخته في سن متأخرة لوالديه، ومن فرط فرحتهما بها جعلوها محور حياتهما، وحظيت بالنصيب الكامل من الاهتمام، على حساب أخيها الكبير.

لذلك كان قراره بأن يستقل وينفصل عنهما ويحصل على نصيبه كاملًا من ثروة والده في حياته، ثم قراره السفر إلى لندن وزواجه من بريطانية، له أكبر الأثر في حالة الفتور والجفاء التي تفرض نفسها الآن بينه وبين أخته حين التقيا بعد ١٠ سنوات في موقف يقتضى أن يستند أحدهما على الآخر.

لم يكن الأب والأم مثاليين، أو نموذجًا تشعر معه بالشفقة لما فعله بهم شريف حين تركهم وطالبهم بنصيبه من الثروة، بل كان البيت دائما مناخًا لا يصلح لتربية أطفال أسوياء، وبالأخص حين تطورت تلك المعركة الدفينة بين الأم وحماتها والتي كانت باستمرار تلوم ابنها على إهماله لولده وتركه دون متابعة. ولم تنس إطلاقًا مشهد خيانة الأم لزوجها في بداية زواجهما حين ضبطتها ذات مرة مع عشيقها في إحدى غرف القصر وكتمت سرها خوفًا على حفيدها شريف الذي كانت تحبه بشغف.

في هذا «الأتموسفير» الملبد بالغيوم عاشت رشا طفولتها، معسكران منقسمان.. أم وأب غريبي الأطوار يدللانها ولا يرفضان لها طلبًا في مواجهة أخ ضائع وجدة يكرهانها ويشعران أن مجيئها للدنيا قلب حياة العائلة رأسًا على عقب.

لكن ثمة أسباب ودوافع أخرى بخلاف مناخ الكراهية الذى يمتلئ به القصر قد فتحت البوابات الكبرى التى عبرت من خلالها الطاقة السوداء في مساراتها المشئومة، حتى احتلت المكان وسكنت أركانه، وعصفت بساكنيه، حاملة السر الذي يختفي خلف غرفه المغلقة، ونوافذه الموصدة، وممراته القديمة.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

في صالة التحرير كان الصحفيون مثل خلية نحل، بعضهم يجلس أمام جهاز الكمبيوتر الخاص به، وبعضهم يكتب، ومنهم من شغلته الأحاديث الجانبية، فراحوا يتحدثون ويمازحون بعضهم البعض، وهم يحتسون قهوة الصباح السريعة.

لم تغير حادثة عمارة مصر الجديدة من طباع (فدوى عبد الدايم) العضو الرابع في الفريق البحثي ل. (مسارات نون)، حيث بقيت على حالها من حب المرح ومداعبة زملائها، والنشاط المفرط

والحماس الزائد أثناء انخراطها في دولاب العمل.

وجميع الصحفيين يعرفون أن صفحة الحوادث في الجريدة لا يستسيغها القارئ إلا بانفراد من (فدوى) أو مجرد متابعة تكتبها فتقدم فيها جديدًا في أي جريمة أو قضية تهم الرأي العام.

وكالنحلة كانت حركة فدوى داخل الصالة... لا تهدأ ولا تتوقف عن مداعبة الجميع بخفة ظل ومرح، إلى أن استقرت وانتهى بها المطاف فوق مقعدها وأمام جهاز الكمبيوتر الخاص بها وفي يدها (مج النسكافيه) تحتسي منه وتتصفح الإنترنت وصفحاتها على الفيسبوك وتويتر.

وبطبيعة الحال بدأت ملامح وجهها تنتقل من المرح للجد بعد دقائق... ثم من الجد للذهول.. وأخيرًا من الذهول إلى الصدمة، فتوقفت عن رشف النسكافيه وتركت الكمبيوتر ورجعت للخلف بمقعدها، ودخلت في حالة شرود ذهني لم تنتابها منذ عام ونصف حين سقط جدار البراءة الأول جراء التحقيق في حوادث الانتحار المتلاحقة في عمارة مصر الجديدة الشهيرة.

وفجأة استفاقت (فدوى) وكأنها كانت نائمة، حين خطر على بالها ألا تحمل أوزار هذه الهواجس وحدها ... فعلى الفور قامت من مكانها واتجهت نحو الغرف المحيطة بالصالة في اتجاهها لغرفة أستاذها وأخيها الأكبر (نزار غنيم).

كان وقوفها على باب الغرفة وملامح وجهها وحدهما كافيين لكي يفهم نزار ما تريده فدوى، فالتفت لها التفاتة تسمر بعدها وجهه، وسرعان ما قرأ في عينيها كلامًا كثيرًا كله يؤكد مخاوفه.

فابتلع ريقه، وأشار إليها لكى تجلس، فدخلت في صمت وجلست، ودون أن يتكلم نظر لها نظرة سؤال، فأجابته في صمت أيضًا بأن هزت رأسها مجيبة ب: نعم!!

كان نزار قبل دخول فدوى عليه يستمع إلى موسيقى عالمية ذات مسحة صوفية، فضغط على زر الكمبيوتر لإيقاف هذه الموسيقى، وشبك بين أصابع يديه وبدأ يفركهما في توتر ثم نطق أخيرًا بصوت متهدج:

- إزاي؟!

- هاقولك ... واحدة صاحبتي من زمان من شوية لاقيتها باعتالي رسالة ع الفيسبوك بتقولي إنها أعصابها تعبانة ومكتئبة، ونفسها تشوفني ونخرج مع شلتنا القديمة زي زمان، قلتلها مالك ... فحكت لي إن واحدة صاحبتها أوي وساكنة جنبها منكدة عليها عيشتها، بقالها شهور

- ليه يعني؟!

- مفيش بتقول إنها تعبت نفسيًا ودخلت المستشفى وراحت لدكاترة كتير ومش لاقية حل

- مكتئبة يعني؟!

- كنت فاكرة زيك كده.. لحد ما صدمتني وقالت لي الحاجة اللي تأكدت إن وراها الريحة إياها

- نون؟!

- آه طبعًا

- ليه يعني ...إيه اللي خلاكي متأكدة؟!

- يا سلام ...هو يعني اللي شوفناه من كام سنة ده يتنسي، ولا حتى يتحكي لحد.. وإذا قدرنا نحكيه هل حد هيصدقه؟!...ولا هيقول علينا مرضى

- برضه حاجات مش منطقية؟!

- بص بقى .... اللى كان في المرة اللي فاتت ده كوم ...واللي جاي ده بقى كوم تاني خالص!!

أغمض نزار عينيه في ضيق وأسى، وأمسك بسبحته الخضراء الملقاة على مكتبه ...واستند إلى كرسي مكتبه مرجعًا رأسه للوراء متنهدًا تنهيدة هم طويلة..

ماذا كان يتوقع نزار؟!.. أن تترك المسارات السوداء أحدًا طالته رياحها من قبل؟!

قد تتركه أعوامًا لكنها لا تضحى بمن فهم ورأى وسمع... فتلك لغة المعذبين.. وحديث الصارخين من أعماق الجحيم.. من يندفعون في تيار الغضب وهدير الانتقام.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

في قصر عائلة الجداوى وقفت الخادمة ترحب بسيدتها العائدة لبيتها بعد فترة غياب، وأسرع الخادم يحمل حقيبتها إلى الدور العلوى حيث غرفتها، وبكل فظاظة وقسوة لم تبالِ رشا بحفاوة الخادمة ونهرتها بشدة قائلة:

- عملتي اللي قلتلك عليه؟!

- اللي هو إيه يا ستي؟!

- هيكون إيه يا حمارة ... الأوضة بتاعتي جهزتيها زي ما قلتلك في التليفون؟

- آآآآآه طبعًا ...طبعًا ... شلت كل ال..

- ششششششش ...خلاص إنت هترغي...غوري من وشي

تنصرف الخادمة في أسى، أمام دهشة أخيها شريف الذى يقف متعجبًا من ذلك التحول الرهيب في شخصية أخته. هو يعلم جيدًا أنها تكرهه ولا تحبه لكن هناك خيطًا من الود والملاطفة كان بينهما قبل سفره وبعده أيضًا، خاصة بعد أن علم أن كل ثروة والديه آلت إليها بوصية من الأب، وأنه هو وجدته لم ينالا إلا ما حدده الشرع، فماذا حدث كى تعامله بهذه الطريقة ولا تنطق بكلمة واحدة معه طوال الطريق للبيت؟!

لم ينتظر شريف كثيرًا، فبادرها بكلمات حاسمة وبصوت مرتفع:

- رشا.. استني ما تطلعيش ...إنت إيه ما عندكيش دم؟!...إنت هتطلعي وتسيبيني ... بلاش علشان أنا أخوكي الكبير ...خليها علشان اللي اتدفع من جيبي في حالتك المهببة دي ...اللي إحنا مش عارفين خفيتي منها ولا لأ

تستدير له رشا في حنق شديد، وتقترب منه في بطء وعيناها جاحظتان، وترفع سبابتها في اتجاه وجهه وتقول في عصبية:

- أنت تخرس خالص ... أنت السبب في كل اللي أنا فيه... بابا وماما كان معاهم حق ... اطلع بره ...بره بيتي.. مش عايزة أشوف وشك تاني

كان من البديهي أن يبلغ انفعال شريف مداه على أسلوب أخته الغريب معه، لكن رد فعله كان غريبًا حين قرر في ثانية واحدة أن يخرج فعلًا من القصر، بل ومن حياتها كلها التى شعر حيالها بالخوف والقلق.

- أنا فعلًا خارج ...خارج وسايبهالك.. أنا إيه اللي يقرفني معاكي ... أنا ناقص لبش وتوتر ... أنت البعد عنك غنيمة .... اشبعي بالقصر وبفلوس أبوكي .... وفكرك هتعرفي تتهني بحاجة ... أنت خلاص انتهيتي ...بقيتي ولا حاجة ...بكره أرجع آخد عزاكي وكل ده يرجع لي تاني

- بره .... بره يا حيوان .... برااااااه

خلال مغادرة شريف قصر والديه للأبد كانت الخادمة تراقب المشهد من خلف أحد الأعمدة وعيناها تمتلئان بالخوف من مصيرها مع هذه الفتاة غريبة الأطوار.

وخلال ثوان كان شريف يهرول نحو باب القصر متجهًا إلى سيارته، وأخته تطارده بالسباب واللعنات والصرخات الهستيرية، وظل بصرها يطارده حتى اختفت سيارته من مرمى بصرها، ولكن قبل أن تختفى كان ما رأته سريعًا كفيلًا بأن يكف لسانها عن الصراخ والسباب.

فثمة شخص بدا في المقعد الخلفي للسيارة يصعب عليها التعرف على ملامحه لتحديد هويته.. كما لو كان وجهه ممسوحًا بلا ملامح.. لكنه ظل شاخصًا حتى اختفت السيارة من المشهد

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

في مقهى الندوة الثقافية ميدان باب اللوق.. كان يحلو لهم الجلوس، حيث الدفء والاحتماء بالبشر والاستمتاع بدرجة من الزحام المستساغ، وأيضا لأن الدكتور مريد المدهش وحمزة التاجي اعتادا أن يتقابلا بانتظام أسبوعيًا على هذا المقهى الدافئ.

فلم تجد فدوى صعوبة في تجميع وحشد فريق المعاناة من جديد، وإنما كانوا على (الندهة)... مستعدين لخوض مغامرة جديدة عبر عوالم الميتافيزيقيا وجولة ثانية مع (مسارات نون) الغاضبة.

اللهم إلا (نزار غنيم) ذلك الرجل الصلب والمستقر نفسيًا، لكنه يحب أن يعيش في حالة من السلام النفسي والتأمل والاستمتاع بذكر الله وعشق آل البيت، فيكره أن يعكر صفو هذه الحالة أي عارض. حتى لو كان عهدًا قطعه مع ثلاثة من الباحثين عن الحقيقة.

وما إن وضع النادل مشاريبهم الأربعة على الطاولة وابتعد عنهم نسبيًا، حتى بدأت (فدوى) في الحديث عما روته لها صديقتها، وأعقبت حكايتها بتحليلها للموقف

- فدوى: أنا حاسة يا جماعة.... لأ.. ده أنا متأكدة إنها وقائع متشابهة مع كل اللى عشناه وشفناه من كام سنة.. بس من جوايا عايزة أكدب إحساسي ده

- نزار: أنا بقى شايف إننا مسرفين أوى في تفسير كل شيء على إنه في نطاق (مسارات نون)، يا جماعة إحنا نسينا إن فيه أمراض نفسية وعقلية كتير ممكن تعمل هلاوس سمعية وبصرية وصاحبها يكون مصابًا بالفصام أو أي مرض من الأمراض دي... ولا أنا باتكلم غلط يا دكتور مريد؟!.

- د. مريد: مش فكرة غلط أو صح... بس بيتهيألي إننا تجاوزنا خلاص مرحلة النقاش ما إذا كانت

الحوادث اللي من النوع ده مرض نفسي لصاحبها ولا تخش في الإطار اللي كلنا عارفينه

أنا لسه لحد دلوقتي ماشي في الدراسة اللى كنت قلتلكم عليها علشان أسجل الاكتشاف ده باسمنا إحنا الأربعة، بس باحاول أنقحها بحقائق علمية وأسانيد أكتر

علشان كده أنا باعتبر إن وجود حالة تانية تثبت علميًا فكرة (مسارات نون) دي فرصة ما تتعوضش علشان أقدر أدعم بيها الدراسة، وننبه البشرية والناس من نوع مختلف وغريب من الأمراض (النفس مجتمعية) حسب ما باوصفها في الدراسة.

- فدوى: بالراحة علينا يا دكتور... إحنا صحفيين مش زيك أنت وحمزة في قصة (السيكولوجي) دي... يعني حضرتك تقصد إنك لسه عايز تتأكد من وجود حاجة اسمها (مسارات نون) ولا لأ؟!

- د. مريد: ده كلام برضه يا فدوى... هو إحنا يا جماعة هنفضل نعيد ونزيد ونرجع نفسنا ألف خطوة لورا... أمال كل العذاب اللى شفناه مع بعض ده كان إيه؟!.... ما تتكلم يا حمزة أنت ساكت ليه من أول القعدة؟!

- نزار: يا عم ده طالب كاكاو باللبن... ده في الطراوة ومش معانا خالص... انت إيه يا عم واكل سد الحنك ولا إيه؟

- حمزة مبتسمًا: لا ولا ساكت ولا حاجة... القصة كلها إني مستغرب إزاي لسه بنتناقش في حاجة المفروض إننا عايزين نثبتها لملايين من البشر حوالينا، ومتأكدين إن صعب حد يصدقنا... لكن الكوميدي إننا ما نبقاش مصدقين نفسنا...

م الآخر يا نزار مع إنك حبيبي من زمان وعارف إن دماغك تقيلة وتفكيرك عميق، وعندك رصيد كبير من الإيمان بالغيبيات واللامرئي نتيجة لثقافتك الدينية، لكن أوقات بتفقد لياقتك وقوتك في المناطق دي... ومش بالوم عليك والله.... لكن الصراحة... كونك أنت وفدوى لحد دلوقتي بتسمعوا لكن ما شفتوش بعنيكم فده مخليكم كل فترة تفكروا وتسألوا نفسكو... إحنا إيه اللى بنعمله ده؟!... هو إحنا كده طبيعيين؟!

- نزار ضاحكًا: يعنى هو لازم أشوف عفريت ميت قصاد عيني ولا أسمع ندهة من المخدة علشان أتظبط ع التراك يا عم حمزة؟!... ده أنت غريب أوى والله!!

ينفجر الكل في الضحك.. مما يخفف حدة وسخونة النقاش، ويفتح المجال لكي يبدأ الأربعة رسم خريطة المعاناة في مغامرتهم الجديدة

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

ما أصعب أن يفنى المنطق!!

ويا لبشاعة الشعور بتعطل الحقائق العلمية!!

عندها قد تتهم نفسك بالجنون.. أو تجنح لخرافات وأوهام، كي لا تستسلم لفكرة أنك بصدد محض هلاوس!!

وفي اليوم الذى فتحت فيه بوابة الأرض الشمالية لتمر الطاقة السوداء عبر مساراتها البركانية، كان البشر قد تجاوزوا مداهم المحتمل في الشر والحقد والخيانة، فأفسدوا الفطرة ونالوا من السلام النفسي والاجتماعي للكوكب المعذب.

هذه الحقيقة التي لا يدركها من وقعوا في مرمى حمم (مسارات نون) السوداء، فهى طاقة كما أكد مكتشفوها تسير وتتشعب وتتشظى انتقائيا، وليس عشوائيًا... فهى تعرف من تختار ليكون فريستها

مسارات نون طاقة ليست عمياء، بل تنفذ إرادة الله في تحقيق التوازن والعدل، فتنتها الحقيقية في صعوبة إدراكها والإحاطة بها... لأنها تستخدم سلاحًا لا يقاوم.. يفنى خصمها فناء بطيئًا... حين تضربه في ثوابته ونواميسه المستقرة، فيصبح الكون في نظره حظيرة عبث... وتغدو الحياة لا قيمة لها...

وعندئذٍ يتبدي السقوط من أعلى نافذة حلًا مخلصًا.. ودواءً ناجعًا...

هكذا رأت (رشا الجداوي) طريق الخلاص، بعد أن وقعت فريسة في دوائر العذاب ولم تجد بدًا من الحياة..

لقد اختارت الوقت والمكان واللحظة فصعدت بعد أن نام الخدم إلى أعلى نقطة في القصر، وكانت وهى تسير في ممرات القصر، وتصعد سلالمه تهرول وتبكي بكاء هستيريًا كمن يهرب من سياط تنهال على جسده، بل صارت تلوح بيديها في الهواء وكأنها تشيح عن وجهها سرب من النحل أو الحشرات الطائرة...

لم تخجل رشا أو تخش افتضاح أمرها وهي تبكي بأعلى صوتها، وتصرخ من أعماقها فقد كانت ترى أنها تهرول نحو الخلاص

وقفت حافية القدمين، يعصف بجسدها الهواء البارد، فوق أعلى حافة في القصر.. وتيقنت تمامًا أن بينها وبين الراحة تلك القفزة

الآن... توقف الصراخ..

لا صوت إلا سكون الليل..

القصر الآن يخلو من سكانه الأصليين...

هل تحكي جدرانه ماذا جرى في سنوات الصخب والضجيج؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

- لأ بقى... مش ممكن هو إحنا موعودين.. إيه الحكاية... ده نفس السيناريو!!

هتف بها (نزار) متعجبًا من تشابه الأحداث والنهايات، بعدما سمع من فدوى خبر انتحار رشا، التي كانت ترقب أخبارها عن كثب من خلال صديقتها وجارتها الوسيطة بينهما

- ده صاحبتي مش مصدقة لغاية دلوقت... رغم إنها بتقول إنها اتبهدلت وتعبت أوى في آخر أيامها وإن حالتها في المصحة النفسية كانت أحسن بكتير...

دي بتقولي إنها كانت بتسمع صوتها بتصرخ كل يوم بالليل وتعيط بحرقة.. مع إنها لما كانت بتزورها في المصحة قبل خروجها كانت بدأت تتحسن شوية

- د. مريد: طب وشعرها برضه كان نفس الحكاية؟!

- فدوى: طبعًا... ماهي نزلت على تليفون من الشغالة وأول ما وصلت لاقتها حطام على الأرض وشعرها أبيض، وهتتجنن من ده لأنها مش عارفة السبب... وآخر مرة شافتها كان قبلها بأسبوع والشعر الأبيض كان مجرد خصلات خفيفة

- حمزة: طيب... يبقى كده من الواضح إن البنت دي وراها قصة كبيرة برضه وغالبًا عملت عملة سودا دفعت تمنها.. كل ده بقى بالنسبة لي مش مهم

- نزار: أمال إيه المهم يا فتك؟!

- حمزة: المهم هو اللى جاي... اللى جاي أصعب مليون مرة من اللى فات... فاكرين قصة شهيرة وجوزها، بدايتها الفعلية بالنسبة لنا إحنا كانت بعد انتحار شهيرة... ولا نسيتوا؟!

ابتلع مريد ريقه، وبدأت علامات الحذر تبدو على وجهي نزار وفدوى

- د. مريد: ويا ترى بقى الرسالة هتختار مين المرة دي؟!

دون لحظة تفكير واحدة اتجهت أنظار الثلاثة إلى فدوى، باعتبارها همزة الوصل الأولى التي اختارتها رياح البوابة (نون) لكي تبدأ معها رحلة البحث عن الحقيقة، وتفاصيل ما حدث داخل هذا القصر.

- فدوى: إيه؟!.... بتبصولي كده ليه؟!.... بتهزروا... أكيد بتهزروا... لأ أنا ماليش دعوة؟!

الثلاثة يضحكون

- فدوى: أنا باتكلم بجد يا جماعة... أنا ما بخشش في الحاجات دي

- حمزة: ياريت يا بنتي... هو بإيدينا... وأنا يعني كان عليا بإيه من ده كله يوم ما دخلت أنام في أمان الله وسمعت اللى بيناديني... لأ ولما حاولت أطنش راح مشرفني في أوضتى ههههههههههههههههههههه

- فدوى (بغضب): ثانية واحدة يا حمزة علشان أنا مش باهرج دلوقتي!!

- د. مريد: يا فدوى هو أنت ليه بتنسي... مش إحنا قلنا نقرأ كتير مقالات ورسائل الدكتور لوبان وأبحاثه... مش حمزة ترجم حوالي ١٠ جداد وقدام كلهم بيتكلموا عن الحالة دي ووزعهم علينا..

احنا بقينا أدوات مسخرة لخدمة الطاقة دي... لحد ما العلم يكتشف عنها حقائق أكتر وساعتها احنا اللى نتحكم في تعرضنا ليها مش العكس

- نزار: أيوا أنا قريت مقال منهم ريحني جدا وإداني تفسير أنا استريحت له... ربط فيه بين الحالة دي وبين الدين... وساعتها تأكد لي إن الراجل ده مش ملحد بالعكس

يا فدوى... مش أنا قبل كده قعدت معاكي وقلتلك خدي المسألة دي كلها على إنها اصطفاء من الله سبحانه وتعالى لينا... وإن ربنا لما بيعوز يغير الكون بيختار عصبة معينة بتتحمل اللى غيرها ما يقدروش يتحملوه..

يا جماعة افتكروا حاجة مهمة جدًا... إن الكون ده له نهاية عند ربنا... ونهايته دي قربت... وفيه كتير من علامات الساعة غريب ومش طبيعي وغير مألوف...

- حمزة: زى إيه يعني؟!

- نزار: زي الدابة مثلًا... أهى دي كائن أو حيوان غريب الشكل هيخرج على الناس في مكان معين.... أو يأجوج ومأجوج... أو المسيح الدجال اللى هيلف الأرض في ساعة... أو حتى طلوع الشمس من جهة الغرب... كل دي غرائب وعجائب إحنا عندنا يقين إنها هتتحقق... طب ساعتها الناس هتقول إيه بقى؟!!

- حمزة (بابتسامة ساخرة): وأنت بقى مصدق الأفلام دي؟!

- نزار (بغضب): استغفر الله العظيم... حمزة... من فضلك ميت مرة قلتلك ما تهزرش في الحاجات دي... واحتفظ بآرائك البايظة دي لنفسك

- حمزة: خلاص يا عم.. أصلك قلبتها حصة دين مرة واحدة... بس أقولك رغم إني مش مصدق الحاجات دي وشايف إن مالهاش دعوة بإيمانا بربنا... إلا أن كلامك منطقي

- د. مريد: إزاي شايف الكلام منطقي وأنت مش مصدقه؟!

- نزار (ساخرًا): آه والله... أهو ده حمزة يا دكتور.. مش عارف هو عايز إيه... دماغه باظت من كتر اللى بيقراه

- حمزة: انتوا اللى مش فاهميني... أنا رافض تصديق الأحداث دي... لكن مش رافض وجود الله... وشايف إن مليارات الناس اللي مصدقة علامات زى الدابة ويأجوج ومأجوج وكل ده... دليل قاطع على إن البشرية سهل جدا تقتنع بالمنطقة الشائكة بتاعة (مسارات نون)... لكن هتفضل الأزمة الحقيقية في السيطرة على أي حالة من حالتها... وبرضه ده هيغذى مناخ الخرافة والأوهام أكتر للأسف... فمالهاش مالكة

- فدوى:بااااااااااااااااااااس كفاااااااية.... حرام عليكم أنا تعبت... أنا ماشية... وياريت تنسوني وتنسوا تليفوني كمان.... وشكرًا لحد كده!!

تحمل فدوى حقيبتها ومفاتيح سيارتها وتنهض مسرعة لتغادر المكان، وسط ذهول الجميع، وتوسلات نزار...

طارت فدوى بسيارتها إلى بيتها ولم تكن تعلم أن ضيفًا حتميًا قد سبقها إلى هناك وبات في انتظارها!!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

في مصحة الدكتور هاني الزيات، تستطيع أن تدرك حقيقة البيزنس الكبير الخاص بعالم المرضى النفسيين.. حيث يضم صرحًا كهذا العشرات من المعذبين ومن أجهزت عليهم الحياة بهمومها وآلامها، وكل مريض منهم شاء أم أبى... سمحت حالته أم لم تسمح له مدة شفاء وتعافي... لا تتجاوز ال.٣ شهور بعدها يغادر غرفته الفاخرة ويتركها لغيره الذى سيدفع هو أيضا مئات الآلاف ليحل هذا المحل.

كل ما في الأمر... فيلا فاخرة.. ضخمة متعددة الغرف... بحديقة كبيرة... وبعض الحراسات الأمنية والطهاة والمستخدمين.. وموظفة حسنة المظهر للاستقبال وموظف حسابات... وأخيرًا اثنين لا أكثر من أطباء المخ والأعصاب يتبادلون (الشيفتات) لمتابعة حالة المرضى

في مصحة الدكتور هاني أيضًا... تحتشد الأسرار، وتتراكم في أذهان مرضى ينسون ما سمعوا... وأطباء يسجلون التفاصيل في سجلاتهم وملفات مرضاهم.

لذلك فمن الطبيعي والحتمي أن يكون سر مريضة مثل (رشا الجداوى) مستترًا ومدفونًا في ملفها الخاص جدًا، والذى لا يقدر على فتحه سوى الدكتور هاني.

وكان من الطبيعي أيضًا، أن تتلقى المستشفى مكالمةً من د. مريد عز الدين الذى لا يهدأ ولا ينام طالما أرقه هاجس، فوجد أن لزامًا عليه أن يحصل على الرقم الخاص للدكتور هاني من (سويتش) المستشفى ويحدثه باعتبار الزمالة وحكم المهنة.

ولكنه أرجأ تلك الخطوة لحين الاطمئنان على حالة الهياج والنفور من الفكرة ككل، التى انتابت (فدوى)،مما أقلقه على مستقبل الفريق البحثي، حيث إن (طاقة نون) في الوضع الراهن أصبحت هى التي تطاردهم وتبحث عنهم وليس العكس، لذلك فإن حمزة والدكتور مريد، أصبحا على قناعة تامة بأن مواجهة هذه الظاهرة بحثيًا وعلميًا صار فرض كفاية، عليهم أن يقوموا به ليسقط عن الباقين.

نهض الثلاثة وغادروا المقهى في حالة قلق وتشتت، بحثًا عن نقطة البداية وطريقتها، وهل ستمهلهم (المسارات) حتى يفكروا أم سترسل لهم ما يحفزهم من جديد صوب حياة استثنائية عليهم أن يعيشوها دونًا عن كل البشر؟!

كان (نزار) هو أول الواصلين لبيوتهم، بحكم قرب مسكنه من المقهى حيث يستأجر منذ سنوات شقة صغيرة في شارع هدي شعراوى ليكون قريبًا من (وسط البلد)، وبدا حريصًا على الاتصال ب. (فدوى) التي لا ترد على هاتفها المحمول كما قررت، فعزم على الاتصال بهاتف منزلها، ولكن بعد مدة يسيرة أعطاها لنفسه، يتناول فيها طعامه ويصلي ليضمن وصولها بيتها الذى يبعد عن وسط البلد عشرات الكيلومترات، وحتى لا يسبب القلق لأمها التي تعرف (نزار) جيدًا كأخ أكبر وزميل عمل لابنتها.

دخل (نزار) بيته في حالة دهشة لثوان معدودة، فهو بحكم العادة يترك (لمبة) مدخل البيت موقدة ليل نهار، فقال لنفسه لعلها احترقت، ولكن دهشته زالت تمامًا حينما كاد أن يخر صريعًا من المفاجأة التى كانت تنتظره في الصالة الداخلية، بعد أن أوقد المصباح.

Surprise!!

قالوها في وقت واحد بمرح وحب، ملتفين حول تورتة كبيرة عليها صورته، والسعادة تملأ وجوههم، والذعر والغثيان يملأ وجهه!!

إنهم (حبيبة وزينة وفرحة) بناته، وزهرة عمره، وتقف خلفهم في وضع منظم الحفل ومهندس المفاجأة أمهم (طليقة) نزار، في أبهى صورها، لدرجة أنها لم تتألق على هذا النحو منذ فترة طويلة خلال سنوات زواجهما!!

ابتسم (نزار) وأخذ بناته في حضنه، ثم سلم على زوجته بتحفظ متعمد..

نسى (نزار) همومه في لحظة وانغرس وسط بناته وصار يداعبهم ويقبلهم ويستمع لحديثهم... تاركا (إيمان) طليقته تقوم بتقطيع التورتة لهم دون أدنى اهتمام بها، وفجأة استفاق وانتبه

لمعطيات حياته الجديدة، فأصابه الشرود، وتوالت في ذهنه مئات الأفكار السريعة حدث نفسه بها:

- والله مفاجأة حلوة... صحيح كانت هتقطع لي الخلف... بس أهى حاجة تخفف شوية من جو اللبش اللى حطنا فيه حمزة والدكتور مريد!!

والبنات برضه كانوا واحشني جدااا... لكن مش طالباهم في ليلة زي دي... يا عالم مستخبيلنا فيها إيه

وبعدين أطمن إزاي دلوقت على البت (فدوى)، زمانها تبقى وصلت بيتها دلوقتي... وطبعًا لو جيت أتكلم، المحروسة هتسألني مين دي... وبتكلمها ليه في ساعة زى دي.. ومش بعيد تتهمني قدام الولاد بإني فلتان وعكاك ومقضيها علاقات محرمة... ولا كأننا متطلقين!!

أهى طبعًا جايه على سنجة عشرة وموضبه نفسها، ونازلة تماحيك، لكن على مين... على بابا.. ده أنا قديم وقاريكي... وأنا أهبل علشان أرجع تاني لجو الخنقة والكهربا اللى كنت فيه ليل نهار..

لم تمهله (إيمان) كي يسترسل في أفكاره، فقطعتها حين طلبت من بناتها بحزم:

- وبعدين يا بنات... كفاية رغي بقى... كلتوا ودان بابا... ينفع كده.. يالا قوموا ع السفرة كلوا التورتة أنا جهزتلكم أطباقكم

(نزار) في سره: وحياة أمك!!

- (البنات): يا ماما بابى واحشنا أوى.. بقالنا كتير ما شفناهوش

- (إيمان): معلش.. ما إحنا قاعدين معاه حبة.. قوموا كلوا التورتة.. علشان عايزة بابى في حاجة.

(نزار) في سره: آآآآآآه... قابل يا حلو... دي يا عايزة فلوس يا عايزة ترجع... ربنا يستر!!

اقتربت (إيمان) بود ولطف من (نزار) وهي تبتسم، فبادلها ابتسامة مصطنعة

- إيه يا سيدي... فينك.. لاقيتك ما بتسألش ع البنات قلت أجيبهوملك وآجي.. وما لقيتش أحلى من يوم عيد ميلادك اللى أنت أكيد مش فاكره زي ما كنت بتنسى مناسبتنا كلها... ولا يمكن عندك حد يفكرك بيه ويحتفل معاك كمان

- هههههههه.... عارفة يا إيمان... ألذ حاجة فيكي إنك من يومك تسألى عشرين سؤال وتجاوبي عليهم من دماغك في نفس الوقت... وطول عمرك خيالك واسع على فكرة.... برافو... ده هايل جدا

- إيه الغلاسة دي... أنت علطول ردك حاضر كده باتهامات وخلاص

- أنا برضه؟!

- خلاص خلاص... مش مهم... قولي بقى.. إيه رأيك في المفاجأة دي؟!

- عظيمة!!

- طب ابقى قولي كمان رأيك في هدية الولاد علشان أنا اللى منقياها

- آآآآآه طبعا من عيني

- أخبارك إيه بقى؟!

- بمعنى؟

- جرى إيه يا نزار... إيه السخافة دي... مال ردودك كلها ساقعة كده؟!

- ساقعة إزاي؟

- بترد على قد السؤال... ومش طايق كلامي... تحب أقوم واخد والولاد وامشي؟!

- أنا قلت كده؟!.. بس آآآآ

- ماشي يا نزار.... أنا كان لازم أسمع كلام ماما... أنت أصلًا لا بتاع جواز ولا ليك في الجواز... تلاقيك عايز تطرقنا علشان تشوفلك شوفة... عموما أنا ماشية... ولما تعوز تشوف الولاد إبقى تعالى لهم أنت بس في المواعيد بقى اللي تناسبني أنا

تنهض (إيمان) في غيظ صارخة في أولادها أن ينصرفوا سريعًا، و(نزار) جالس بكل برود، ولكنه حرص على تقبيل بناته بكل حب وحميمية،وتوديعهم إلى الباب.

لم ينس (نزار) لزوجته السابقة كيف أنها أصرت على الانفصال وهدم البيت لأسباب تافهة، ولم تبال لتوسلاته وخوفه على مستقبل بناته، وكذلك انسياقها وراء كل ما تُمليه عليها أمها، بالإضافة إلى قدراتها الخاصة والمتفوقة على كل سيدات مصر في اختلاق المشاكل وفرض حالة من النكد والغم، مما أحالت به الحياة بينهما لجحيم لا يطاق.

أغلق (نزار) الباب وقرر على الفور الاتصال بزميلته الصغيرة التي لا ترد على هاتفها المحمول، حيث كان هناك شعور داخلي ينتابه بالندم على إشراكها من البداية في جبهة لا تقوى على القتال فيها، وإحساسه بالذنب على خطئه في حق الصحافة حينما لاحظ تراجع مستوى (فدوى) في أدائها المهني بعدما اقتحمت عالم الخوف والحذر في ذلك اليوم المشئوم، واليوم هاهو القدر يختارها منفردة دونا عن كل الفريق لكي يبوح لها بأسرار جديدة تنبعث من بوابة (نون) العتيقة!

رنات متواصلة لجرس هاتف منزل (فدوى)، وأخيرًا جاء الرد، ولعله من والدتها باعتبارها الإنسان الوحيد في حياتها..

ولكن ردًا لم يأت، ولم يجب أحد على سؤال نزار:

- ألوو.. ماما معايا؟!.. ألووو

كل ما في الأمر.. أن هناك أصوات حركة ممتزجة بالصمت، مما يوحى بأن السماعة قد رفعت دون رد من أحد، مما أثار قلق وخوف (نزار) فكرر النداء وبصوت أعلى، والرد لا شيء إلا صمت مقلق، وكرد فعل بديهي أغلق (نزار) السماعة وأعاد الاتصال.

ولكن هذه المرة جاءه الرد..

- ألوو

- (بصوت هامس أقرب لفحيح الثعبان): أيوااااااا

- ألووو.. مين معايا..

- إحساااااااااااان

- إحسان؟!!... مش ده منزل الصحفية (فدوى عبد الدايم)

- نقولها مين؟!

- هي موجودة؟!

- إحساااااااااااان

- أنا نزار زميلها... طب فين طنط فريدة مامتها؟!

يندفع صوت صرخة نسائية مفزع من فم المتحدث، لا يجد معها (نزار) بدا من إلقاء السماعة بعيدًا على الأرض فتظل ترتجف أمامه كأن أحدًا يحركها، وصوت الصراخ يتواصل بشكل جنوني من السماعة،حتى يغلق (نزار) الخط.

وخلال دقائق كان مستقلًا سيارته متجهًا لإنقاذ زميلته، وهو غير مصدق لما يحدث ولا يجد له تفسيرًا، كل ما استطاع فعله هو الإمساك بسبحته وترديد الأذكار والأدعية والتحصينات طوال طريقه الطويل من وسط البلد إلى التجمع الخامس، حيث منزل (فدوى) التى لا يعلم أهي على قيد الحياة أم لا.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

إذا كانت الصداقة بين (حمزة التاجي) وبين الباحثة الألمانية البروفوسيرة (جوليا شتايندورف)، وطيدة منذ ما يقرب ٤ أعوام، فهي الآن بعد أن توحدت أهدافهما البحثية على صعيد واحد أكثر توطدًا.

وإذا كان (حمزة) بما رآه وسمعه وعايشه من أهوال تفزعه وتؤرق حياته خلال تجربة عصيبة، تماست مع إحداثيات مسارات (نون)، يعتبر من ضحايا مواجهة هذا النوع من الطاقة أو الكائنات اللامرئية، فإن د. جوليا ومعها مكتشف هذه الطاقة من قبلها الدكتور (لوبان) الفرنسي، قد انخرطا في نوع غريب من الحياة، جعلتهما يعتادان رؤية وسماع ما يملأ من قصص الرعب والإثارة مجلدات وكتب!!

وكعهده معها كل فترة قصيرة أن يحدثها ويسأل عن مستجداتها البحثية في هذا الصدد، جلس (حمزة) يجري محادثة طويلة مع صديقته عبر (الشات) ويطلعها على أهم ما يحدث لديهم في مصر

- الغريب يا د. جوليا أن درجة الثبات في مواجهة طاقة (نون) يتفاوت من شخص لآخر داخل فريقنا البحثي، وكنت أتصور أن مجرد اختيار شخص معين ليدخل هذه الدائرة، فهو على درجة من الثبات المعرفي والفهمي ما تكفيه ليصمد أمام ما يرى

- من أين لك بهذا التصور الخاطئ؟!

- لماذا؟!... ألم يؤكد د. لوبان والباحثون في المركز لديكم أن مسارات (نون) ليست عشوائية بل محددة، وبإحداثيات اختيارية؟!

- هذا كان التصور الأولي الذى لم نجد حتى الآن ما يثبته أو ما ينفيه... لكن الأقرب للحقيقة العلمية وللسنن الكونية أنها طاقة سلبية من الدرجة القصوى، التي ربما تؤذى وتضر بما حولها وداخل نطاق انتشارها أيا كان هذا الشخص

- مستحيييل!!

- أي مستحيل؟!

- ما تقولينه الآن...

- لماذا؟!

- لأن معناه خطير ومرعب... لقد تصورنا وساعدنا على ذلك طبيعة ثقافتنا الشرقية أن مسارات (نون)، طاقة تختار وتستبين، ربما تحركها قوى السماء لكشف الحقيقة وتحقيق العدل

- (ضاحكة بقوة) هههههههههههههههههه عدل أي عدل... وهل على الأرض عدل؟! هههههههههههههه

يندهش (حمزة) من رد فعل د. جوليا المبالغ فيه، ولكن هذه الدهشة سرعان ما انقلبت ذعرًا لا حد له حين سمع صوتها يخرج من اللاب توب وهي تحدثه بصوت خشن نابع من أعماق الجحيم وبلهجة مصرية دارجة:

- قووووم من قداااامي!!

بغض النظر عن (كوكتيل) المشاعر الرهيب الذى اجتاح حمزة في ثوان معدودة، إلا أن الشعور الحاكم هو أنه تمنى ألم تكن ولدته أمه، ليخرج ويعاني في حياته كل هذه المعاناة... فماذا فعل ليرى كل هذه العجائب؟!...

وما ضر لو كان إنسانًا طبيعيا فطريا كعامل حداد أو نجار في ورشته يعيش حياة بدائية تخلو من هذه اللوغاريتمات؟!

تراجع (حمزة) للوراء، وبسرعة استعاد توازنه العصبي وتذكر مغامرته مع شبح جاره القديم الذى قتل في الشقة المجاورة لهم، وتجاسر حتى اقترب من اللاب توب ليغلقه بسرعة... ولكنه سباق مع الزمن... فكيف يسبق طاقة قصوى تندفع في مسارات مغناطيسية لا مرئية؟

وبمجرد أن وضع يده على اللابتوب، ظهرت الصورة على الشاشة واضحة وجلية بكل تفاصيلها المرعبة.

وكان الحضور المخيف والظهور الأول، لأهم وأخطر من يسكنون الآن قصر عائلة الجداوي، موطن ومحل ميلاد (رشا) صريعة الهواجس والأمراض النفسية

إنها العجوز (إحسان هانم المانيسترلي) سليلة أقدم عائلات الشراكسة الأتراك في مصر جدة (رشا)، ووالدة رشدي الجداوى.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

الآن.. حلبة الصراع ليست واحدة أو اثنتين بل هي أكثر من جبهة..

لقد استفحلت اللعنة، وتشظى مداها فصار يطيش هنا وهناك... ولكن ما يحدث حتى الآن لا يمكِّن عاقل أو حصيف من اتسبيان حقيقة الأمر.. ولا حتى الربط بين الوقائع للوصول إلى السر وراء هذه الفتاة حاملة اللعنات.

لذلك... أدرك د. مريد فورًا بعد مكالمة حمزة التي أخبره فيها بما حدث له، أن السر الكامن وأول مفاتيح الفهم لما يجري. يوجد داخل ملف (رشا) وبالتالي لدى الدكتور هاني الزيات طبيبها ومعالجها خلال ٣ شهور من عمرها.

لم يكن الدكتور (مريد) وحده في السيارة التي انطلقت صوب مستشفى الدكتور هاني، ولكن كان معه (نزار غنيم) و(فدوى عبد الدايم) في حالة إعياء شديد، وتحت تأثير حبوب وحقن مهدئة نتيجة ما أصابهم من هلع جرَاء ما شاهدوه في بيت فدوى، مما جعلهم يهرعون لصديقهم الطبيب النفسي، فهو أولى بهم.

ومن العجيب أن ما سمعه (د. مريد) من فدوى ونزار ومن قبلهم حمزة، لم يزده إلا تصميمًا على حسم الأمور وسبر الأغوار الكامنة خلف شخصية (رشا الجداوي).

كانت فدوى قد حظيت بزيارة منتصف الليل، فور دخولها منزلها، متجهة إلى غرفتها في حالة اكتئاب شديد من الفكرة برمتها، واتخذت قرارًا لا رجعة فيه ألا تشارك بقية زملائها ما عزموا عليه، وأن تتناسى القصة كليةً، لكن الظروف والملابسات تأبى إلا أن تكون طرفًا فاعلًا في الأحداث، وهل دخول الحمام مثل الخروج منه؟!

في البداية، وجدت فدوى على الأرض بجوار سريرها صورة فوتوغرافية لسيدة سبعينية تبدو عليها علامات العز والثراء، تبتسم ابتسامة الملكات وترتدي قبعة أرستقراطية على رأسها، وتزين وجهها نظارة تزيدها تألقا وأناقة، فتعجبت منها وذهبت على الفور نحو أمها لتسألها عما إذا كانت هذه الصورة لإحدى صديقاتها أو تخصها.

- ماما... ماما

- أيوه يا حبيبتي

- بتاعة مين الصورة دي؟!

- أنهي صورة؟!.. وريني... ما أعرفش

أجابت الأم بالإجابة التي لم تكن تتمناها (فدوى) ولكنها كانت تتوقعها.. فكررت السؤال:

- ماما... أبوس إيديك أنا مش ناقصة توتر... افتكري لتكون وقعت منك... يعني هو مين جه عندنا ولا ممكن يخش أوضتي غيرك؟!

خلال حديث فدوى كانت عيناها وهى تتكلم تقعان على الصورة، كل ثانية، فذهلت حين وجدت فيها اختلافًا ما، مما جعلها تستمع لكلام أمها كأنه هواء... صمت!!

كان الاختلاف عن الصورة الأولى أن السيدة العجوز الآن لا ترتدي قبعة بل حاسرة الرأس ويبدو شعرها في درجات بين الذهبي والأبيض ولكن بنفس الابتسامة ونفس الملامح والنظارة

- الأم: فدواااا.. مالك.. انت مش سامعاني.. أنا باكلم نفسي

- ها.... أيوة يا ماما سامعاكي... مش عارفة.. مش عارفة

- مالك يا بنتي مالك بس... فيكي إيه بقالك كام يوم غريبة وقافلة على نفسك.... ده انت كنتي ما بتبطليش ضحك!!

- هاموت يا ماما... هاموت... مش قادرة

- احكيلي يا بنتي... مالك... حصل حاجة في الشغل؟!

قبل أن تجيبها (فدوى) سرقت عيناها نظرة خاطفة للصورة مرة أخرى لتجد السيدة العجوز، بدون نظارة واختفت الابتسامة من على ملامحها، واكتسى شعرها تماما باللون الأبيض المخيف، وبدا متناثرًا

هنا تخلت (فدوى) عن ثباتها وتماسكها أمام والدتها، وقذفت بالصورة بعيدًا، وانتابتها نوبة صراخ وبكاء هستيري، وتقوقعت فوق الأريكة في وضع الجنين، في حين أصيبت أمها بالهلع خوفًا على ابنتها وصارت تبكي وتنادي على جيرانها.

فرض الهدوء نفسه بعد إغماء (فدوى) وحضور الطبيب بصحبة بعض الجيران، لتهدئة أمها، التي ابتلعت هي الأخرى مصيبتها حين راحت تحكي للجيران ما حدث، مستعينة بالصورة التي صنعت كل هذه الضجة فلم تجدها... إنه السيناريو الكلاسيكي في أي فيلم رعب مصري تحديدًا، أن تختفي ملابسات الموقف الذى ترويه الضحية فيتصور السامعون أنها مختلة عقليًا... تماما كما حدث ليسرا في فيلم الإنس والجن حين كانت تناديهم من الستائر التي أحرقها عادل إمام فيدخلون ليجدوا كل شيء على ما يرام.

في هذا التوقيت كان (نزار غنيم) يتصل على التليفون الأرضي، ولا يجد من يرد عليه سوى العجوز الشقراء (إحسان هانم المانستيرلي)

فمن تكون هذه الأسطورة بخلاف أنها جدة (رشا)، وكفى بذلك مفزعًا ومثيرًا؟!!.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

وصل الجميع مصحة الدكتور الزيات العملاقة، ودخلوا يتقدمهم (د. مريد) بكل ثقة.. لا لأنه نسق موعدًا معه بعد اتصال هاتفي بينهما، ولكن لأن علاقة الندية بينهما، وكونه طبيبًا نفسيا مشهورًا وابن أحد أقطاب طب المخ والأعصاب في مصر جعله هو الأفضل لهذه المهمة، ولكنه قرر وأصر على أن يصطحب معه (نزار) و(فدوى)، لعل فهمهما للحالة النفسية للمريضة (رشا) يخفف عنهما ما سمعوه وشاهدوه حتى الآن.

كان لقاء القطبين حميميًا بما يخالف العادة الجارية في أن (عدوك ابن كارك)، وكانت حفاوة د. هاني بالدكتور مريد بالغة.. رغم أن الأخير أصغر سنًا بما يقرب من عشر سنوات. مما يعطى للدكتور هاني هيبة الأقدم والأكثر خبرة

وللوهلة الأولى تصور د. هاني أن (نزار) و(فدوى) مرضى من أقارب الدكتور مريد، وأتى بهم للحجز في المصحة، فحالة الإرهاق والترهل التي كانا عليها دعمت هذا التصور، إلى أن بدأ د. مريد حديثه فورًا بتقديمهم ثم بادر بدخوله مباشرة فيما يريد.

- د. هاني... يمكن أنا ما وضحتش لحضرتك أنا عايزك في إيه بالظبط، وده أسعدني أكتر إن

حضرتك رحبت بالميعاد من غير ما تعرف هنتكلم في إيه

- يا دكتور مريد... ده مكتبك ومكانك... وحضرتك أستاذ كبير تشرفني في أي وقت

- ربنا يخلي حضرتك... القصة بدون ديباجة إني جاى أعرف تفاصيل عن حالة المريضة (رشا الجداوي) اللي كانت بتتعالج على إيد حضرتك هنا في المصحة، وطبيعة مرضها الغريب جدا، لأن المعلومات اللى واصلة لنا كلها مشوشة، ومن واحدة صديقتها وبالصدفة طلعت تعرف (فدوى) زميلتنا..

يعني حكي تليفونات... وطبعا اللى كانت بتشتكي منه ده لوحده ظاهرة تستحق الدراسة، ويهمني أنا شخصيًا إني أفهم طبيعة مرضها بشكل علمي دقيق، وده طبعًا من خلال حضرتك باعتبارك نجحت في علاجها إلى حد ما

- إيه اللى عرف حضرتك إنها خفت؟!

- أنا ما قلتش خفت... بس برضه المعلومات اللى وصلت لي من خلال صاحبتها بتقول إنها خرجت بإرادتها بعد موافقة حضرتك من هنا، وانتكست تقريبًا بعد ما رجعت بفترة.. وبعدين انتحرت

- طيب... مع كامل احترامي وتقديري ليك يا دكتور مريد... إنت مش ملاحظ إن طلبك غريب شوية خاصة إن المريضة في عداد الموتى أولًا... ثانيا أنا آسف يعني... بصفتك إيه عايز تعرف كل حاجة عنها...

يارت أعرف حضرتك عايز المعلومات دي ليه، وأكيد بحكم مهنتنا عارف إن أسرار المريض ملفات محرمة إلا للمريض نفسه أو حد من أهله... ومش أي حد كمان

- طبعًا يا دكتور... أنا فاهم ده كويس.. بس الحقيقة احنا قدام بحث علمي كبير، ومحتاجين نماذج عملية للتحقق من ظاهرة غير عادية، قد تكون كونية لأن دراستها مش مقتصرة علينا إحنا بس في مصر ولكن في فرنسا وألمانيا وإنجلترا وفي أمريكا كمان، بنتواصل مع مجموعة من الباحثين في علم النفس والباراسيكولوجي، وبيطلعونا أول بأول على نتائج دراساتهم، وعينات أبحاثهم.

- أيوه يا دكتور... طب ده برضه إيه علاقته بالمريضة بتاعتي؟!... هل تقصد إنها عينة بحثية على الظاهرة دي

- بالظبط كده؟!... وبعدين يا دكتور انسى (رشا) خالص... اعتبرني بحكم مهنتي جاى أعرف من حضرتك طبيعة المرض الغريب اللى كانت بتشتكي منه... دي فيها مشكلة؟!

- ماشي ممكن اكلمك بشكل عام عن مرضها الغريب... لكن إيه حكاية الظاهرة الكونية دي؟... وهل تستحق كل الجهود الاستقصائية دي؟.. وبالتعاون مع الصحفيين كمان هههههههههههههه؟!

لم يرق مزاحه لنزار ولا فدوى... ولكن د. مريد بادله الضحك بدبلوماسية حتى لا يحرجه، ثم أخرج سيجارة من علبته، وقدمها له ثم أشعلها، وأشعل أخرى لنفسه، وابتسم ابتسامة تحمل العديد من الكلمات وكأنه يقول للدكتور هاني: ما بلاش... خليك في الكام مرض اللى إحنا

حافظينهم من الشغل: اكتئاب.. فصام.. وسواس قهري.. توحد وغيره وغيره... عموما أنت اللى جبته لنفسك

وبدأ يحكي ويسهب ويفصل.. ويشاركه الحكي على استحياء (نزار).. أما (فدوى) فاكتفت بالاستماع والإيماء برأسها كعلامة على تأكيد الحكي كلما نظر لها الدكتور هاني مندهشًا.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

تأكد (حمزة التاجي) تمامًا من سلامة د. جوليا، وحكى لها ما حدث، ويبدو أنه صار صلبًا لا يبالي حيال تلك الهجمات المفزعة، ووضع لنفسه معيارًا ثابتًا ينام معه قرير العين، ويكمل به حياته، وهو وجود رابط دائمًا بين تلك الخوارق وبين حادثة راهنة تلقى بظلالها على المشهد، كالربط بين ما حدث له ولنزار وفدوى من غرائب. وعلاقة ذلك بحادثة انتحار (رشا) وحقيقة مرضها الغريب.

كان (حمزة) في حالة ثبات يُحسد عليها، قد يكون سببها هو استناده إلى ذلك التفكير حتى ولو كان وهميًا، لكنه رغم ذلك كان يتوقع آتٍ ما بين ثانيةٍ وأخرى، ويضع في ذهنه ألف حساب لمفاجآت قد تفقده اتزانه.

وقبل أن يجري مكالمة هاتفية للدكتور (مريد) ورفاقه للاطمئنان عليهم في مهمتهم، نظر للساعة فأرجأ اتصاله قليلًا، متوقعًا لهذه الجلسة أن تكون طويلة، ففيها السر وبيانه.

ولكنه تذكر ميعاد عمله المسائي الثابت في الشركة التي يعمل بها، فنهض على فوره من مكانه، ليستعد للنزول متمتمًا:

- والله شكلنا هنترفد م الشغل بسبب الغم اللى شايفينه ده... خليها تكمل من كله

خلع (حمزة) ملابسه في عشوائية يعتادها وألقى بها بين سريره والأرض، واتجه وخرج من غرفته بملابسه الداخلية، متجها للحمام وهو على علم بأن والده خارج البيت ليأخذ حمامًا باردًا كما يحبه، وابتسم ابتسامة مستفزة لأمه الجالسة أمام التليفزيون في الصالة، وكأنه يتوقع ما ستقوله:

- تصدق إنك معندكش دم... إيه اللى أنت لابسه وماشي بيه ده... أنت حر إن شاء الله تاخد برد.

فتوجه نحوها وقبلها مداعبًا إياها، فدفعته في ود كامن:

- امشي ابعد عني.. امشي

ما أجمل اللحظات الصافية.. والدافئة في هذه الحياة.. !!

وما أروع أن يستمتع الإنسان بنعمة الأمان، حتى ولو كان لحظيًا مؤقتًا.. !!

وما أقسى تحولات القدر بين الأوقات الآمنة الهادئة وبين تلك المزعجة العصيبة!!

يبدو أن رياح الأرواح المكلومة تجيد اصطياد أوقات هبوبها، وتعرف متى وأين تسير

دخل (حمزة) الحمام ووقف أمام المرآة لحلاقة ذقنه قبل الاستحمام وفجأة... سأل نفسه سؤالًا: هل ما يسمعه الآن إحساس وهمي من تراكمات هواجسه التي لا تتوقف، وكوابيسه النمطية المعتادة؟... أم هو حقيقة ككل ما سبق؟!

إنه صوت أنفاس بشرية... نعم... هناك من يتنفس بجواره.. ولكن ليس هناك أحد حوله في حمام لا يتجاوز عدة أمتار يبصر بنظرة واحدة كل أبعاده...

لا... ليست كل أبعاده.. ثمة ركن خلف تلك الستارة... وما أغباها وما أقساها من ستارة تخفي وراءها ذلك الآتي المجهول.. لا سيما وأن صوت الأنفاس ينبعث من هذا الاتجاه!!

الأنفاس تتعالى... تتسارع..

(حمزة) يتصبب عرقًا، وتتدافع في ذهنه مئات الهواجس..

أعظمها أنه يلعن ذلك اليوم الذى قتل فيه جاره وانخرط في تلك الحياة المجهدة... وأدناها أنه الآن في الحمام... وما أدراك ما الحمام في تراث الرعب الأدبي والسينمائي... والأنكى من ذلك أن الستارة تغطي ركن (البانيو)... ومن هو (البانيو) الذى قُتل على يد المخرجين والمؤلفين بحثًا، وامتلأ بآلاف الجثث

لكنها حياته الجديدة... عليه أن يتقبلها دون أدنى مناجزة.. الآن فقط قرر (حمزة) ألا يهرب لخارج الحمام وأن يتقدم لفتح الستارة..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

- كده يا دكتور (هاني) أبقى بريء علميًا وأخلاقيًا قدام حضرتك كشاهد على حدوث ظاهرة مهمة زي دي.. ممكن تغير شكل الحياة على الأرض وممكن علميًا نفهمها ونعرف نتكيف معاها ونسيطر عليها... سواء كان ده بتكنولوجيا معينة... أو من خلال ثقافات وقناعات دينية أو تنمية بشرية أيا كان.... المهم إن القصة مش بسيطة ولا ونقدر معاها نطنش ونضيع الوقت...

قالها (د.مريد) وهو يطفىء سيجارته

الدكتور (هاني) يتنهد بعمق، ويرجع بكرسيه للوراء مسترخيًا عله يستدعي الراحة لذهنه الذى عرف كثيرًا وامتلأ بعظيم.. ثم يوجه نظره ل (فدوى) مبديًا علامات التعجب والحيرة والشفقة على حالهم أيضًا

- نزار: دلوقتي يا دكتور هاني جه الدور على حضرتك علشان نقدر نفهم ونوصل لحاجة في اللى بيحصل حوالينا ده

فيه مشكلة ما... فيه مصيبة حصلت... فيه جريمة جايز... أي حاجة تخلي الطاقة السلبية دي... أو الروح المعذبة دي... غاضبة ومتوزعة ومنتشرة لحد ما ترتاح وتهدى

- د. هاني: إيه الكلام غير العلمي ده يا أستاذ نزار؟!!

- نزار: يعني انت سايب اللى فات كله وجاى على الكلمتين بتوعي وتقولي غير علمي!!

- د. هاني: مش قصدي.. أصلك بتقول كلام غريب.... أرواح غاضبة... وتتوزع وتهدى.. ده كلام أفلام!

د. مريد: يا دكتور هاني... ما أنا شرحت لحضرتك التوصيف العلمي للي بيحصل، نزار بيتكلم معاك ببساطة....

بص... انسى اللي قالهولك نزار.... وانسى كمان (رشا الجداوي)... إحنا دلوقتي بعد إذن حضرتك

عايزين نعرف توصيفك العلمي لمرض (رشا) اللي حضرتك كتبت عنه تقرير كامل وطبعته كمان زى ما قلتلي امبارح...

اعتبرني زميل جاى يتعلم من حضرتك، وياخد درس في الحالة الجديدة اللي حضرتك سميتها آآآآآآ... على ما أتذكر..

- د. هاني: هيستيريا الصورة

- د. مريد: أيواااا هيستيريا الصوراااا.... هي دي

- د. هاني: بس أنا ما سمعتش رأي الأستاذة (فدوى) يعني... وليه ساكتة من أول القعدة؟!

- نزار (غاضبًا): يا دكتور أبوس إيدك ركز معانا.. وسيبك دلوقتي م الأستاذة فدوى... ممكن حضرتك تدينا حتى من غير شرح التقرير المطبوع ده

يبدو أن (نزار) أدرك من خلال مراقبته للدكتور هاني، طبعه الذى لا يعرفه عنه سوى المقربين منه والعاملين معه في المصحة، أنه يحب مغازلة الفتيات الصغيرات، ودائمًا ما يتعرض للعديد من المشكلات بسبب ذلك.

فرد د. هاني بحرج شديد: آه آه... هايل جدًا... فكرة هايلة... موافق... ثوان وأخليهم يطبعوا لكم نسخة... لكن نحكي عن مرضانا وأسرارهم، وبالذات العائلية.. أنا آسف جدًا... مش هاقدر

نهض الجميع متنفسين الصعداء وكأنهم ارتاحوا لهذه الفكرة، التي من خلالها يمكنهم فهم الكثير عن شخصية (رشا) وبالتالي التوصل لفهم الشخصية الثانية التي داهمت حياتهم وهي العجوز (إحسان).

تسلم الدكتور (مريد) ملفًا مكونًا من عشرين ورقة مكتوب باللغة الإنجليزية سجلها الدكتور هاني باسمه كمرض جديد تم اكتشافه على يديه، فأراد أن يحفظ لنفسه حقوق الملكية الفكرية في اكتشاف المرض والتعامل معه، ولكنه تراجع عن نشر البحث في دوريات الطب النفسي والإعلان عنه بعد انتحار (رشا)، مما اعتبره فشلًا في علاج أول مريضة بما أسماه Hysteria Of photos وترجمه للعربية حينما حكى عنه للدكتور مريد ب. (هيستيريا الصورة) لأن الحالة تحدث للمريض تبدأ جراء مشاهدته صورة واحدة وليس عدة صور.

فما هي (هيستيريا الصورة) التي اكتشفها د. هاني، وكانت (رشا الجداوي) هي أولى ضحاياها الذين أفصحوا وحكوا عن عوالمها المخيفة؟!!

ولماذا اختارت الطاقة السوداء (نون) هذا الأسلوب وهذه الفتاة، واختارت أن تلقي بها في نطاق مساراتها المظلمة؟!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

كان وقع المفاجأة هذه المرة مختلفًا على نفسية (حمزة)، فهي لم تُثنه فقط عن الذهاب لعمله، ولكنها أقعدته طريح فراش أمه، وبين أحضانها تماما كطفل انتابه كابوس منتصف الليل فهرع إلى غرفة والديه وتسلل بينهما طالبًا الأمان.

ظل (حمزة) يرتجف وهو بين يدي أمه التي راحت تقبله وتقرأ عليه من آيات القرآن ما تحفظ، مما أعاد لها أجواء الخوف التي ظنت واهمة أنهم تركوها على أعتاب بيتهما القديم المجاور ل

(شهيرة ورامي).. تلك الأيقونة الملعونة التي حلت بهم وعصفت بالدفء والطمأنينة.

حتى قطع هذا الجو المضطرب جرس هاتف (حمزة) المحمول، فنظر له برعب وقلق، لكن أمه طمأنته وهدأت من روعه، وأمسكت به وقالت

- مكتوب د. مريد... أنت لسه تعرف الناس دي يا بني؟!... يا حمزة ارحم نفسك وارحمنا حرام عليك... والله ما جابلك البلاوي دي كلها إلا الراجل ده... منه لله... منه لله.. كان يوم أسود يوم ما عرفناه وشفناه... كان يوم أسود يوم ما سكنا في العمارة دي... كا

قاطعها (حمزة) بصرخة ألم نابعة من أعماقه:

- ماااااااامااااااا.... حرام عليكي يا ماما... أنا مش ناقص... ما تكمليش عليا أبوس إيدك.. أنا مش هارد عليه... مش هارد عليه... ارتحتي؟!!

- أيوه مش هترد... وهاقفله كمان.. ها

- اعملي اللى تعمليه..

لم يكن خوف (حمزة) مبالغًا فيه، لكن بشاعة وهول ما رأى جعله يصل لنفس حالة السأم والانفجار التي انتابت (فدوى)، فاختار أن يبتعد قليلًا عن كل ما يخص دائرة مسارات نون التي يرى أنها أصبحت بالبلدي وباللهجة المصرية الدارجة (بتلوِش).

على الجانب الآخر كان (د.مريد) و(نزار) وحدهما على مقهى الندوة الثقافية بعد أن قاما بتوصيل (فدوى) لبيتها بناء على رغبتها... وشعورها بالإجهاد العصبي، فأعطاها (د. مريد) حبة دواء منومة، وقرر استبعادها من هذه المهمة نظرًا لحالتها... هذا كان قرار الدكتور مريد فهل للأحداث قرار آخر؟!

حاول كلاهما الاتصال بحمزة أكثر من مرة دون جدوى، بعد أن أغلق الموبايل، مما زاد من قلقهم فحمزة ليس الشخص الذى يغلق هاتفه أو ينقضي شحنه ويتركه، لأن حقيبة اللاب توب لا تفارقه، ويضع بداخلها كل احتياجاته أينما ذهب.

- شكله كده نام يا دكتور

- مش ممكن ده المفروض عنده شيفت مسائي النهارده في شغله.. هو كان قايل لي كده

- عمومًا.. ابقى اقرأ أنت التقرير لوحدك وبراحتك في البيت وكفاية لحد كده النهارده... أنا بأقول نروح والصباح رباح.. رغم إن قلبي اتقبض أول ما قلت الكلمة دي

- إنت متجوز يا نزار؟

- كنت... ودلوقتي مع نفسي... تصدق بقى... في المواقف اللى زي دي... حاجة صعبة أوي إنك تبقى لوحدك.. ع الأقل كنت هاحتمي بعيالي

- ربنا يخليهوملك.. الصراحة أنا باروح بابقى عايز أصحيهم هههههههههه

- هههههههههههههه

كانت هذه الجلسة فرصة بين (مريد) و(نزار) لمزيد من التقارب والتعارف، ولتجاذب الحوارات

الإنسانية، والحديث عن الصحافة والسياسة وكرة القدم وأحوال البلاد.

كان كلاهما يخشى العودة لمنزله، ولكنه لا يبوح بذلك.. فظلا يسيران على أقدامهما في شوارع وسط البلد الساهرة، حتى تمت الساعة الثالثة والنصف صباحًا، ومع تمامها كان هاتف (د. مريد) يرن مسجلًا اسمًا أصابه بالذهول:

- إيه ده؟!... معقول؟... ده الدكتور هاني الزيات... إيه اللى مصحيه لحد دلوقتي؟!

- طب وإيه الغريب في كده.. جايز متعود يسهر... رُد ما تقلقش.. يمكن عايز يقولك على حاجة مهمة في التقرير

رد (د. مريد) وفي ذهنه ما سمعه من رفاقه، وبالتالي توقع أن يكون المتحدث ليس الدكتور هاني:

- ألوو

- أيوااا يا دكتور مريد... أرجوووك تعالى لي حالًا...

- نعم!!!... إزاي يعني... دكتور هاني معايا؟!

- أيوا أنا هاني... باقولك أرجووك ساعدني... أنا مش عارف أعمل إيه؟!.. استعنت بكل قوتي وخبرتي في تهدئة المرضى وأنا مش لاقي حل لنفسي

- طب وأنا أقدر أساعد حضرتك إزاي وإيه دلوقتي واحنا داخلين ع الفجر؟!!

- مش هاقدر أحكيلك في التليفون.. ممكن تيجي حالًا

- ما هو أنا مستحيل آجي إلا لما تعرفني إيه اللى حصل يا دكتور

- رشا الجداوي

- مالها؟!

- لسه عايشة... ولسه خارجة من مكتبي من عشر دقايق!!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

طلعت الشمس وانقضى الليل... ولكن ما جدوى ذلك إن كانت حركة كواكب ليس أكثر، والخوف والذعر حالة لمستمرة لا تنقطع، ولا تعرف ليلًا من نهار..

نام (حمزة) و(فدوى) بفعل الحبوب المهدئة.. ونام (مريد) بعد طلوع الشمس أيضًا بفعل الحبوب المهدئة، ولكن في بيت (نزار)، الذى حصل على نصيبه من الطاقة الإيجابية عندما صلى الفجر حاضرًا في مسجد السيدة نفيسة، ولم يسكن حتى زار المقام وبكى على أعتابه المقدسة، ثم أقنع د. مريد بالمبيت معه معتذرًا لزوجته بأنه اضطر للمبيت في المستشفى.

فتناول مع شروق الشمس، إفطارًا شرقيًا دسمًا مع صديقه الجديد، سهَّل عليه مهمة النوم دون مهدئات، وعلى صوت أثير إذاعة البرنامج العام، خلد للنوم بمجرد أن سمع صوت (على الحجار) ينشد تتر البرنامج الشهير (مع الذاكرين) ويشدو:

(أتيت أطلب غفرانًا تقر به عيني.. ويفرح قلبي في تقربه... يا غفاااار)

نام الجميع فلابأس من هدنة، تهدأ معها النفوس، لتواصل المسير بحثًا عن حقائق مؤلمة، وصادمة ومخيفة... ولكنها تمنح نفوسًا أخرى في عالم آخر السلام والراحة.

كان أول المستيقظين (حمزة).. وذلك بفعل كابوس جعله ينهض مفزوعًا، ليجد نفسه في غرفة والديه وبجانبه أمه تغط في نوم عميق، ففهم فورًا أنها أقنعت والده بأن يذهب لينام في غرفة ابنه.

لكنه اكتشف فور خروجه من الغرفة استحالة أن يقبل والده ذلك، فهو يمقت كل سلوكيات حمزة، ولا يطيق هواء غرفته ويعتبره مسممًا، وملوثًا بأفكار وقراءات وحياة فوضوية بوهيمية غريبة لا تروق له ولا يفهمها..

لذلك اختار والده أن ينام في (الصالة) على (الكنبة)، فاقترب منه حمزة وتأمله وهو يغط في نوم عميق، وابتسم ابتسامة تحمل مسحة حنين ممزوجة بشيء من الغبطة أو الحسد.. وقال محدثًا نفسه:

- يا بختك يا بابا... اخترت بمزاجك الحياة اللى تريحك... زي ما أنا اخترت بمزاجي الحياة اللي تتعبني!!

ثم ألقى نظرة بعيدة للحمام الذى يشعر برغبة ملحة في دخوله، لكن هيهات بعدما شاهده بعيني رأسه بالأمس..

كانت صورة حية لا تنمحي من ذهنه.. ومشهد عصي على النسيان..

حين فتح الستارة ليجد سيدة عجوز غارقة في البانيو المملوء بالماء، وتحاول التنفس بصعوبة رافعة يديها النحيفتين في الهواء وتنظر له باستعطاف لينقذها، وصوت أنفاسها يتعالى، فهرع إلى خارج الحمام صارخًا بأعلى صوته.

لم يقوَ حمزة بالأمس على مجرد رواية ما حدث أمامه لرفاقه.. فأرجأ ذلك لوقت يستعيد فيه توازنه وقواه النفسية والعصبية...

ويبدو أن هذا الوقت لم يحن بعد.. حيث دلف حمزة إلى غرفة والدته فورًا رغم سطوع شمس النهار، فحشر نفسه داخل حضنها الدافئ المريح... لينام مجددًا...

فحضن الأم عالم وبلاد تعجز عن اختراقها أعتى قوى الأرض شرًا!!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

كان إغلاق الدكتور مريد لهاتفه بالأمس حلًا رائعًا لكي يفلت من القنبلة التي ألقاها في وجهه د. هاني، وبناء على نصيحة (نزار) الذى لم يشعر بأدنى ارتياح لشخص الدكتور هاني... خاصة بعد نظراته المريبة ل. (فدوى).

فاقتنع بسرعة، وقرر أن يؤجل المعاناة عدة ساعات، متوقعًا جميع الاحتمالات المفزعة بعدما قاله الدكتور هاني، وتأكيده أن (رشا) بشحمها اولحمها كانت عنده في غرفته... ماذا فعلت ولماذا حضرت؟... هذا ما قرر أن يعرفه في اليوم التالي من الدكتور هاني إن بقى حيًا..

لكن مبيت الدكتور مريد عند (نزار غنيم) جعله، يدرك أن هذا الرجل حقًا وبدون مبالغة هو الأكثر صلابة فيهم، وهو الوحيد القادر على تناسي ما يرى أو يسمع من خوارق هذه المسارات

الملعونة، ربما بسبب هذا الخليط الثقافي والديني والفلسفي الذى يعيش به، وربما لاتصاله الذى لا ينقطع بالسماء وإيمانه بوجود قوى مهيمنة على الكون مهما تعالت مخاوفه وارتفع صخبه.

- صباح الفل يا دكترة

- صباح النور يا عم نزار..

- يا رب تكون نمت كويس.. أوضة البنات بحري وهواها حلو..

- لا الحمد لله... ده نمت نوم بقالي شهور ما نمتوش... مش عارف أشكرك إزاى

- على إيه ياعم... هو أنت فاكر إن أنا كان هيجيلي نوم لولا أنت جيت تبات معايا... هي الليلة كانت لبش وطالبة إننا نونس بعض... يالا ياعم قوم فوق كده واغسل وشك... وحصلني ع البلكونة علشان عملت فنجانين قهوة يتحلف بيهم.

ضحك (د. مريد) وقام وفي نفسه يقول:

- يا بختك بدماغك يا عم نزار... فعلًا صوابعك مش زى بعضها!!

وفي (بلكونة) نزار جلس الإثنان يحتسيان القهوة، وكل منهما يخشى أن يفتح الآخر الحديث في ما يؤرقهما... ولكن لابد من ذلك

- الدكتور هاني كلمك تاني؟!

- لسه هافتح الموبايل وأشوف.. بس مش قادر الصراحة... لما أعصابي تهدى هابقى أكلمه

- طب تفتكر إيه اللى بيحصل عنده؟!

- أكيد حاجة شبه اللى بيحصل عندنا... لأنه أكيد دخل في مجال الطاقة بمجرد ما بقى ليه دور في حل المشكلة... عمومًا ساعة كده وأتصل بيه نشوف إيه الأخبار

- طيب وبالنسبة للتقرير... أكيد لسه ما قريتوش؟

- الحقيقة لسه... بس قلبت فيه قبل ما أنام وفهمت تقريبًا ملخص عن الحالة، رغم إني مش قادر أحطلها أسباب علمية، وأفتكر إن الدكتور هاني هو كمان ما عرفش يوصل لأسباب عضوية أو نفسية ممكن تؤدي ليها

- طب طالما صحينا بقى ورشينا ميه.. وخدنا اليوم في وشنا.. مفيش مشكلة لو قلتلي إيه بقى (هيستيريا الصورة) دي

- هههههههههه ماشي يا سيدي... بص.. واضح إن (رشا) لما اتنقلت المصحة على إيد واحدة صاحبتها كانت في حالة انهيار عصبي حاد وهلع أو اللى إحنا بنسميها Panic Attack وده بيبقى طبيعي لأي مريض بالعصاب لكن اكتشاف حالتها كان بعد سماع شكواها لما هديت واتكلمت

(رشا) يا نزار كانت بتشتكي من هلاوس بصرية حادة بتخليها تشوف الصورة بتتحرك

- الصورة نفسها... البرواز يعني؟!

- لأ... تفاصيل الصورة نفسها من جوه

- يا نهار أسود... إيه اللبش ده؟!

- يعني لو دققت في صورة شخص مثلًا، ممكن تلاقي ملامحه بتتحرك أو اتغيرت... يعني ممكن تشوف صورة ليك بقميص أبيض، تشوفها تاني يوم تلاقيك لابس جاكيت كحلي فوقيها

- أنت بتهرج؟!

- والله العظيم.. مش ده المرعب في الموضوع... لأن مريض الفصام بيشوف أشخاص وبيتخيل أحداث كمان وهمية.

- على أساس اللى أنت قلته ده طبيعي... أمال المرعب إيه؟

- إن الهيستيريا بدأت عندها حسب كلام د. هاني – طبعًا من غير ما يذكر اسمها - بصورة حد من قرايبها اتوفى من فترة بسيطة... ودي كانت أول صورة تشوفها بتتحرك وتتغير، فتحولت لكوابيس بتطاردها في كل مكان.

- ومين بقى قريبتها دي؟!

- ما أعرفش هو إحنا نعرف إيه أصلا عن رشا دي إلا المعلومات اللى (فدوى) عرفتها من صاحبتهم المشتركة... انها دخلت المستشفى وانها انتحرت

- طب الست العجوزة اللى كلمتني من بيت (فدوى).. واللى (فدوى) نفسها شافتها في الص...

سكت (نزار) لبرهة وكأنه تذكر شيئًا

- إيه سكت ليه مرة واحدة كده؟!

- هو إحنا ما حكينالكش على اللى حصل لفدوى وخلاها تعبت كده

- لا.. أنا تصورت إنها متضايقة من الفكرة من يوم ما اتعصبت علينا في القهوة وسابتنا ومشيت... إيه حصل إيه؟

- أصلها ما كانتش عايزه تحكي لحد... وبالعافية حكت لي وحلفتني ما أقولش

- بس طبعًا إنت هتقول... أصلها ما فيهاش حلفتني

- لا طبعًا ما فيهاش...

- خير؟!

- (فدوى) اللى مجننها إنها تعرضت تقريبًا لحكاية هيستيريا الصورة دي... وعلشان كده أنا مش حاسس إنه مرض قد ما أنا شايفه رسالة عايزة توصل لنا من العالم الآخر

- إزاى الكلام ده حصل؟

- في اليوم اللى جينالك فيه وحالتنا زي ما شفت.. لاقيت صورة لست عجوزة شكلها أرستقراطي جدًا بس مش مريح.. صورة فوتوجرافية مش ع الموبايل

- أيوا أيوا... فاهم فاهم

- الصورة دي اتغيرت خلال دقيقة واحدة كذا مرة لحد ما بقى شكلها مفزع... فانهارت ووقعت من طولها لولا أمها والجيران لحقوها بدكتور

- إنتوا إزاى تخبوا عليا حاجة زي كده...

- اللى حصل بقى... المهم إني خمنت تخمين غريب بس شكله صح... الست العجوزة دي روح كانت حاضرة وبتطوف في بيت (فدوى)، لأن غالبا هي الست اللى ردت عليا بصوت هامس وقالت لي أنا إحسان... م الآخر لازم نعرف مين إحسان دي بالنسبة ل. (رشا)

- طب وإيش عرفك إن ليها علاقة ب. (رشا)؟

- لأن كل اللى بيحصلنا ده بدأ من يوم ما (فدوى) عرفت من صاحبتها الحالة بتاعة (رشا)... ويوميها لو تفتكر حكت لنا حاجة شبه أعراض هيستيريا الصورة... لما قالت واحدة بتشوف نفسها في الصور اللى حواليها كأنها مراية، فيمكن ده كمان عرض من أعراض هيستيريا الصورة فعلًا

- تمام... يبقى كده حياة (رشا) الخاصة هي اللي بتفرض نفسها... وجاية لنا لحد عندنا من غير ما نخش فيها!!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

كثيرًا ما يصبح الخوف دافعًا لأشياء إيجابية، ربما يفعل في الإنسان ما عجزت السنوات والحوادث أن تفعله..

وأكثر المتفائلين في العالم لا يمكن أن يصل لخياله أن (حمزة) الآن جالس على السفرة مع والديه ويتناول معهما وجبة الإفطار، بل ويسير ملاصقًا لأمه وهى تقوم بتحضيره في المطبخ، ويساعدها في وضع الأطباق على المائدة، وصب الشاي لأبيه الذى بات مذهولًا مما يحدث.

- جرى إيه يا حمزة... أنت كده يا بني هتخليني أدعي عليك تضايق علطول هههههههههههههه

قطع الأستاذ عادل ضحكته فورًا حين نظرت له أمه نظرة يحفظها كل زوج مصري عن ظهر قلب، رغم أن (الإيفيه) راق لحمزة وبادل والده الضحك..

- والله يا بابا... أنا معترف إني جيت على نفسي كتير الأيام اللى فاتت... شغل وقراية وأبحاث وترجمة لما بقيت زى الأعمى مش شايف قدامي

- يا حبيبي الحياة يوم كده ويوم كده... ربنا خلقها علشان نرتاح يوم ونتعب يوم... وبعدين إنت أصلا حارمنا منك وبترجع في وقت متأخر فمابنلحقش نتكلم معاك كلمتين

- الأم: لسه والله كنت باقول له الكلمتين دول.. إن الحياة مش شغل وقراية وبس.. وبعدين يابني عايزين نفرح بيك بقى... ونلعب مع ولادك

- حمزة: ولادي؟!!... جوزتيني وخلتيني أخلف كمان!

أولى قوانين وسنن (مسارات نون) أن اللحظات السعيدة الدافئة لا تدوم.. لذلك كان جرس الهاتف الذى اخترق آذان الجميع، ولفت انتباههم مؤشرًا على ذلك، وعلامة فهمها الكل أن مهلة الراحة والطمأنينة قد انتهت.

وبدا ذلك واضحا من وثبة (حمزة) نحو الموبايل، وملامح وجهه التي تبدلت في ثانية واكتست بالعزيمة الممتزجة بالقلق والترقب، فعرف والداه ألا جدوى... وأن الحكاية لا زالت تحمل فصولًا أخرى.

- ألوو... أيوا يا دكتور مريد...

- إيه يا بني... فينك... ده إحنا قلنا مات... ما أنت ما بتختفيش كده عادي

- معلش كان يوم صعب... هابقى أحكيلك أما أشوفك.. المهم إنت بخير و(نزار) و(فدوى)؟!

- آه تمام الحمد لله... برضه كان يوم صعب علينا كلنا... الظاهر كانوا شادين حيلهم شوية إمبارح

- طب إيه؟!... هتتاقبلوا النهارده... عندي مليون لغز في دماغي!!

- آه هنتقابل ع الساعة ٥ العصر ع الندوة... بس دلوقتي عايزك تبعت نسخة من تقرير بعتهولك ع الميل ابعته من عندك للدكتورة جوليا عن مرض نفسي اسمه (هيستيريا الصورة)

- إيه حكايته ده كمان؟!

- لاااا ده حكايته حكاية لما نشوفك بقى

- يا دكتور مهما كانت حكايته... أنت بتقول صورة... أنا كان معايا الأصل إمبارح

- يعني إيه؟!

- لما نتقابل بقى

الأستاذعادل يشير لزوجته بيده وملامح وجهه إشارة مفادها: إنسي... ابنك مش هيتغير عليه العوض

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

في مستشفى الدكتور هاني تكدست سيارات الشرطة والصحفيون والموظفون والعاملون في المصحة أمام جثته المحطمة على الأرض، وسط دهشة الجميع من هذه النهاية غير المتوقعة لواحد من أنجح أطباء المخ والأعصاب في مصر، وصاحب أشهر مصحة نفسية لعلاج الإدمان والأمراض النفسية المستعصية.

وبينما كان ضابط الشرطة يحقق في الحادثة التي تشير كل الدلائل على أنها انتحار كالعادة، كانت إحدى الممرضات تهمس لزميلتها في خبث..

- ربنا ما بيسيبش... يالا أهو مات ما تجوزش عليه إلا الرحمة

- يا شيخة اتقي الله.. ده بقى في دنيا تانية... حسابه عند ربنا بقى

- ربنا يسامحه ع اللى عمله وكان بيعمله

- خلاص بقى.. افتكري له خير

- هو فين ده؟!... أنت بس اللى بتنسي... نسيتي طريقته مع كل واحدة مننا بعد ما تتعين،

وتخش له مكتبه لوحدها... ده إحنا لولا قرايبه من البلد وخاف لنفضحه كان زمانه رمانا زي الكلاب بعد ما قاوحنا معاه وحجرنا

- ربنا يسامحه بقى... كان غاوي... رغم إنه دكتور يتحلف بشطارته.. سبحان الله

- ولا اللى عمله مع البت الشقرا اللى انتحرت... فاكرة... ده بيقولوا حاول يغتصبها لولاش لمت عليه المستشفى يوميها

- يا ساااتر يارب عليكي... إنت إيه؟!.... ما عندكيش دين... كفاية بقى!!

كان هذا الهمس مُؤشرًا لما قيل بعد ذلك في التحقيقات لمعرفة ما إذا كان الدكتور هاني انتحر بإلقاء نفسه من نافذة مكتبه في تمام الساعة الرابعة فجرًا، أم أن أحدهم ألقى به.

ولم تكن موظفة واحدة فقط هي التي شهدت بذلك، حيث كان من الواضح بل من الأكيد أن الدكتور هاني له صيت ذائع في التحرش بالممرضات والمرضى ممن يستجبن له.

ويبدو أن في هذه القائمة حسب رواية كثير من الشهود، (رشا الجداوي) التي لم تستجب لذلك وحاولت فضحه ولكن وقوعها تحت قهر وضعف مرضها جعلها تتراجع احتياجًا لدعم الدكتور هاني.

وفور أن وصل الخبر إلى مقهى الندوة الثقافية، كان الذهول والصدمة هما رد الفعل الغالب عليهم، وبالأخص الدكتور مريد الذى لام نفسه وشعر بالإحساس بالذنب قليلًا، لأنه لم يتجاوب مع استنجاد الدكتور هاني به..

ولكن ماذا كان عساه أن يفعل لينقذه في توقيت حرج، وقد كان منهك القوى، مجهد الأعصاب كما برر له (نزار)؟!

وبعيدًا عن الأسباب والنتائج فقد قرر الفريق الرباعي، إنهاء ملف (رشا الجداوي) ليعودوا إلى حياتهم الطبيعية، قبل أن يستفحل الأمر، فكانت الجلسة المطولة التي وضع فيها (حمزة) و(مريد) و(نزار)، كل ما حدث نصب أعينهم بالورقة والقلم، ثم إصرارهم على استدعاء (فدوى) وخروجها من حالتها كي لا تتفاقم، بداية لنهاية حكاية (رشا الجداوي وجدتها إحسان المانستيرلي).. أي منهما المعذب وأي منهما الذى يبحث عن حق دمائه التي لم تبرد، عبر مسارات (نون) الغاضبة؟!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

لم يكن صوت (فدوى) وهي ترد على مكالمة (نزار) بأفضل حالًا من ذي قبل، ولكن ما قاله لها زميلها الصحفي في هذه المكالمة، شحن من بطاريتها ما يجعلها تقرر العودة مجددًا لساحة المعركة..

يكفي أنها أنهت المكالمة واتجهت على الفور لتبديل ملابسها وهي تردد عبارة "أنا فتاة مختلفة... أنا لست إنسانة عادية"... فهل هي قناعات حقيقية ينبغي أن يشعر بها من يتصدى لمثل تلك الظاهرة التي لا زالت كامنة؟.... أم هي مجرد تبريرات وهمية يمنح كل منهم بها نفسه مقومات وأسباب الحياة...

تلك هي خطورة أن تعرف... ثم تحيا بعد أن تعرف؟!

استعد الفريق لخوض غمار الجولة الأخيرة في لعبة الجنون والهلع التي أحاقت بهم، والتي جعلتهم يترحمون على أيام جريمة (شهيرة) وعشيقها في حق زوجها (رامي)، حيث لازالت علامات الاستفهام متزايدة، والأرواح المحلقة كثيرة.

ولكن (حمزة) استطاع أن يحدد المسار النهائي للزفرة الأخيرة للعاصفة المنبعثة من البوابة نون، فكل الأسرار الآن تحتشد عند الشخص الوحيد الذى عاش مع (رشا) لحظاتها العصيبة قبل انتحارها، ويعرف الكثير عنها وعن عائلتها بحكم الصداقة وبحكم الجوار.

إنها (داليا عمار) صديقة رشا والصديقة القديمة أيضًا ل. (فدوى)، والتي كانت جسرًا عبرت به تلك الصرخة القادمة من عالم الحقيقة؟

(داليا عمار).. فتاة من نفس عمر (فدوى) كانت جارتها منذ سنوات، وتعرفت على (رشا) خلال جيرتها لها في (كومباوند) تسكنه أرقى عائلات مصر، لم تكن تمامًا مثل جارتها في كل طباعها، ولكن كانت لهما مغامرات وحكايات سهر وحفلات غير منضبطة أثارت حفيظة أسرتها وحذروها من رفقة (رشا)، بل طالبوها بقطيعتها، في وقت كانت (رشا) فيه تعيش بمفردها، وتفعل ما تشاء دون ضابط، ولا تعبأ بمحاولات جدتها للتحكم فيها، بل وكانت كثيرة الشجار معها منذ أن كانت صغيرة... وزاد الأمر بعد وفاة والدتها المفاجئة والغامضة، ثم وفاة والدها الذى وهبها معظم ثروته،وكان يدللها ويترك لها العنان تفعل ما تشاء، ويشتبك في شجار مع أمه إذا لامته على ذلك.

جلس الأربعة في بيت (داليا) يستمعون لحديثها الطويل... والذي كشف العديد من الأسرار الغامضة والمثيرة بين جنبات وأركان قصر (الجداوي)

لم تجد (داليا) أي غضاضة، أو صعوبة في إفشائها أسرار كامنة كان كتمانها سببًا في تعاستها وخوفها وإصابتها بالإكتئاب، وكأنها تحينت الفرصة لتروي وتخرج ما يؤرقها من حكايات سوداوية كانت قابعة في سراديب عفنة في القصر الملعون.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

كان الإحساس بالتطهر والبراء من الذنب الذى انتاب (داليا) وهي تحكي عن صديقتها، ملحوظًا في نبرات صوتها، وسكتاتها وحماسها وهي تتحدث، مما يفسر أن العلاقة بينها وبين (رشا) في السنوات الأخيرة من عمرها، كانت لا تخلو من الابتزاز والتهديد بين بعضهما البعض، من خلال ما تعرفه كل واحدة عن الأخرى.

ولكن، ثمة شيء عظيم منع (داليا) من قبل أن تحكي عن سجل (رشا) الحافل بالخطيئة حتى لا يفتضح أمرها، لذلك فهي الآن تستطيع أن تحكي في أمان.. أو كما تظن هي ذلك.

- فدوى: معلش يا داليا لو كان الكلام هيضايقك... بس اح...

- (قاطعها حمزة): والكلام هيضايقها ليه يا فدوى.. إحنا محتاجين نعرف كل حاجة يا داليا.. وكمان بخلاف أي تفاصيل عن حياة رشا.. عايزين نعرف مين هي (إحسان هانم المانستيرلي)... هي جدة رشا مش كده؟!

- (داليا): أيوا... بس مش ممكن تعرف مين هي إحسان جدة رشا إلا لما تعرف طبيعة العلاقة بينهم كانت عاملة إزاى

أنا هاحكيلكم... إيه اللى وصل رشا لحالتها دي؟!... وراحت فين جدتها؟!

وقبل أن تبدأ (داليا) حديثها الذى يتشوق له الجلوس، دخلت عليهم الخادمة تحمل بعض العصائر للضيافة، فالتفت الجميع إليها وانتظروا تلك الثواني المعدودة التي تقدم فيها الخادمة العصير إليهم واحدًا تلو الآخر ببطء بدا ملحوظًا مما أثار حفيظة (داليا) فخاطبتها بشيء من الحدة:

- بسرعة من فضلك يا أم سيد!!

- حاضر يا ستى.. طب (النسكافيه) بتاع حضرتك أهو

اقتربت الخادمة منها لتعطيها فنجان (النسكافيه) فلم تنظر لها (داليا) وعينها على الفنجان لتجد مكتوبًا على وجه المشروب كلمة (هاقتلك)، فجحظت عيناها، ورفعت نظرها للخادمة لتجدها (رشا) تبتسم لها في تحفز!!

ترتعد (داليا) وتقذف بالفنجان بعيدًا، وهي تصرخ وتنهض من مكانها، وسط دهشة الجميع وقلقهم، فجميعهم أصبح متمرسًا على هذه النوعية من السلوكيات وردود الأفعال ولكنهم مندهشين من عدم وجود ما يثير ذعرها بهذا الشكل؟!

- مالك يا ستي؟!... أنت كويسة؟!... معلش فداكي هاجيبلك غيره

- لاااأ... شكرًا مش عايزة حاجة... روحي يا أم سيد

آآآآنا آسفة أوي يا جماعة... معلش الحقيقة أنا أعصابي بايظة بقالي فترة طويلة من قبل حتى ما (رشا) الله يرحمها تموت... و(فدوى) عارفة كده

(فدوى): حبيبتي اهدي بس... وروقي... وسيبك من المواضيع دي... ولو تعبانة نجيلك وقت تاني

- د. مريد: لااااا لاااا ده أكيد شوية إرهاق من قلة النوم، بس إنما ما توهميش نفسك، وتدخلي مخك في دوامات مالهاش آخر... إنت كويسة وزى الفل.. وإحنا مش عايزين نيجي تاني... عايزينك تنسي الموضوع... بس محتاجين نعرف طبيعة العلاقة بين رشا وبين جدتها إيه؟

فدوى تنظر للدكتور مريد باندهاش، وحمزة ونزار يسحبانها من يدها لتجلس قسرًا على الأريكة بجانبهما في حركة تحمل معنى:اسكتى.. إحنا ما صدقنا لاقينا حد يتكلم

- (د. مريد): اتفضلي استريحي يا داليا... براحتك خالص... وإحنا سامعينك

- (داليا):طب هو أنتو عايزين تعرفوا المعلومات دي علشان إيه؟!

(حمزة) يتأفف.. و(نزار) يضع يده على رأسه ويقول في سره صامتًا: يا دين النبي على أم السؤال اللى مش هنخلص منه ده

- (د. مريد بحزم يقترب من الحدة): بحث... بنعمل بحث... إحنا التلاتة دكاترة طب نفسي وواخدين (رشا) حالة، وجبنا معانا (فدوى) علشان صاحبتك مش أكتر... أنت مش مفهماها يا فدوى؟!

- (فدوى):آه آه... قلتلها والله بس الحقيقة أنا عاذراها... ما تيجي نسيبها تستريح النهارده ونيجيلها بكره

- (حمزة) ده لو فضلت لبكره!!

- (داليا): أفندم؟!!!

- (نزار): لأ يقصد إن إحنا مش فاضيين بكره... ومش هنعرف نتجمع تاني... أستاذة داليا... بعد إذنك سؤال: هي والدة رشا ماتت إزاى وإمتى؟!

بذكاء الصحفي وقدراته الخاصة على جذب الضيف للحوار، عرف (نزار) كيف يصطاد الفريسة ويسحب من (داليا) أولى خيوط الحكاية!!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

حظيت (رشا) بقسط وافر من الحياة المرفهة، وامتلكت بجانب ذلك نسبة ليست بقليلة من الجمال الفتان، فكانت دائمًا مثار تنازع الفتيان عليها، واقتتالهم من أجل رضاها، تكلم وتميل لمن تريد، وتترك وتتمنع على من تريد..

هكذا فهمت واستيقنت (رشا) أنها تملك الدنيا بين يديها، خاصة أن أباها وأمها لا يعرفان معها كلمة (لا)، حتى أخوها لم يستطع أن يقترب من حرمها المقدس أو يمارس معها دور الأخ الأكبر، حيث كان يتعرض لمعاملة سيئة وغريبة من أبيه، وكثيرًا ما تعرض لضرب مبرح حين حاول أن يمارس سلطته الطبيعية على أخته، خاصة حين بدأ يتنامى لمسامعه ما يصعب أن يتقبله رجل شرقي على امرأة تخصه.

فكان كثيرًا ما يعيره أصدقاؤه بأخبار أخته، وحكاياتها التي لا تنتهي، إلى أن كان ذلك اليوم الذى رآها فيه، في إحدى الحفلات الساهرة داخل القصر وهي في ركن من أركانه وقد اختفت عن العيون، وكانت صدمته حين وجدها ثملة بين يدي شاب من أصدقائها يتبادلان القبلات الحارة.

فلم يتمالك أعصابه، وأمسك بهذا الشاب واعتدى عليه بالضرب المبرح حتى أفقده الوعي.. وكان ابن أحد أصدقاء والده المدعوين من رجال الأعمال الكبار وزوجاتهم.

مما أثار غضب والده، وانهال عليه بالضرب والإهانة البالغة خاصة أن (شريف) اختار أن يصمت ولا يحكي عما شاهده حفاظا على سمعته وسمعة والده والعائلة

كانت دموع (شريف) وآلامه النفسية في تلك اللحظة لا يراها ولا يشعر بها إلا شخص واحد في هذا الحفل.. إنها سيدة القصر الكبيرة (إحسان هانم)، التي رقَّت لحفيدها فاحتضنته وأخذته بعيدًا عن الحضور مكتفية بالتمتمة:

- كده.. كده يا رشدي... تعمل في ابنك كده... تموته قدام الناس

الأصعب من ذلك أن والده لم يكتف بذلك بل أصر على طرده بعد دقائق من نهاية الحفل وانصراف الحضور، وسط توسلات جدته، وبكائها

في هذه اللحظة كانت (داليا) أحد من يرون هذا المشهد من الدور العلوي أمام غرفة رشا، حين طلبت منها (رشا) المبيت معها خوفًا من ارتياب أمها أو جدتها مما حدث. وكان طرد (شريف) وضربه على مرأى ومسمع من الأم التي كانت صامتة كأنها لا ترى شيئًا... و(رشا) التي اعتلت

شفتيها ابتسامة تتذكرها (داليا) جيدًا من فرط استفزازها.. والجدة التي ظلت تتوسل لابنها ألا يطرد (شريف) خارج البيت.

ولم ينس شريف ولا جدته هذا الليلة التي اضطر فيها للمبيت عند أحد أصدقائه، مما جعل هذه الواقعة نقطة تحول كبيرة في علاقة (رشا) بجدتها.

كانت كل تعاملات شريف مع والده ترمي لفكرة بعيدة غير محتملة ولا واردة، ولكنها قابعة في اللاوعي من تراث أفلامنا العربية الكلاسيكية، وربما يكون فيلم (الخطايا) أحدها. لكن في أوقات أخرى نادرة كان (رشدي) يبدي حرصه على أن يكمل (شريف) دراسة الهندسة في الجامعة الأمريكية مثلًا، هكذا سمعت (داليا) منه ذات مرة من مرات زياراتها لصديقتها.

حرصت (رشا) على ألا تتكرر تلك الفضيحة مرة أخرى، فأصبحت تأخذ حذرها.

وذات مرة وجدت جدتها في رسالة وصلتها من رقم مجهول صور من حوار بين حفيدتها وبين الشاب الذى ضربه (شريف)، Screen shots ويضم هذا الحوار رسالة تهديد بالقتل من هذا الشاب الذى كان على علاقة بها لمدة طويلة، وفهمت من فحوى الرسالة أنها تركته وارتبطت بشاب غيره.. وأنها لا تبالي بتهديده

فعلى الفور توجهت لغرفة حفيدتها، وطرقت الباب بعنف.. فجاءها الرد أعنف

- مييين؟!!

- افتحي يا رشا أنا إحسان

- (من خلف الباب): خير يا (تيتة) عايزة حاجة؟!

- افتحي يا بنت... أنت هتكلميني وأنا ع الباب ولا إيه؟!

في عصبية قامت (رشا) وفتحت الباب مواربًا وكأنها لا ترحب بدخول جدتها، فنظرت لها جدتها بحدة، وقبل أن تنهرها بادرتها (رشا)

- خير فيه حاجة... ويا ريت تنجزي بسرعة

رفعت جدتها الموبايل أمام ناظريها وقالت لها

- ممكن أفهم إيه ده؟!

تغير وجه (رشا) وبدت عليه علامات الخوف ثم ردت في نبرة اهدأ:

- إيه ده مش فاهمة؟!

- باقولك إيه اوعي تنكري وتفتكريني مش فاهمة في الحاجات دي... لااا.. أنا فاهمة كويس أوى... تقدري تقوليلي الزفت ده بيقولك كده ليه؟!

- مين اللى وصلك الحوار ده؟!

- ما تجاوبيش بسؤال... وسعي كده من قدامي وخشي جوه بدل ما أمك ولا أبوكي يسمع!!

دفعتها (إحسان) بقوة لتجد معها في الغرفة (داليا)، فلم تسلم عليها امتعاضًا من كل ما يتعلق

بحفيدتها، ولكنها لمست في عينيها لغة مفادها أنها هي من أرسل لها هذه الرسالة... بدافع الخوف عليها من هذا الشاب الموتور.

- مين الواد ده؟!... وعايز إيه؟!

- ده حاتم ابن "أنكل" وهدان

- مممم.... مش حاتم ده اللي أخوكي ضربه قبل كده يوم الحفلة؟... ويا ترى بقى ضربه ليه؟!

بصي... تردي ما ترديش... أنا بقى مش هاسكتلك وإذا كان أبوكي وأمك مش فاضيين يربوكي أنا بقى اللى هاربيكي يا سافلة

لم تمهل (رشا) جدتها كي تكمل إهاناتها، فنهرتها بشدة وبدأت في دفعها بقوة وبغلظة خارج الغرفة وبأسلوب سوقي كانت تحدثها:

- إنت فاكرة نفسك هتخوفيني... اعملي اللى تعمليه... لعلمك حاتم وغيره وغيره زى الخاتم في صباعي... ووريني بقى مين هيصدق تخاريفك... يالا بقى من هنا يا حاجة

- أنت حقيرة وما اتربتيش

- طب يالا يا ماما من هنا... يالاااااا... اطلعي بره.... برااااااا

طردتها (رشا) ولكنها كانت تتصبب عرقًا خوفًا من افتضاح أمرها، لكن هذا لا يُعيقها أبدًا ولا يثنيها عن عزائمها في الشر وأفكارها الشيطانية، فما هي إلا ساعات وكان (حاتم) بين يدي عدد من البلطجية من أصدقاء عشيقها الجديد، ولم يتركوه إلا حطام في قارعة طريق مظلم، وكبيرهم يلقي على مسامعه جملة:

- ستك رشا تبعد عنها.... مفهوم... ستك رشا إيييييه؟!

فيركله في فمه الممتلئ بالدماء ليجيب في هلع:

- أبعد عنها... أبعد عنها... هابعد عنها!!

توالت الحكايات وقصص العشاق، وبدأت عائلة (داليا) في الحذر من صديقة ابنتهم، حتى صدرت الأوامر لها بألا تخرج معها ولا ترافقها في الجامعة، مما أثار حفيظة (رشا) وغيرتها، ولعلها كما روت (داليا) غيرة نابعة من عقلها الباطن وفطرتها السوية التي كانت تتمنى أن يكون لها أم وأب يغاران عليها ويحيطانها بهذه الرعاية.

فحاولت الاقتراب من (داليا) ولكن الأخيرة طلبت منها الابتعاد لفترة، فاستشاط غضب (رشا) وبدأت في تهديدها بسقطة صغيرة ذات مرة حرصت على تسجيلها صوت وصورة، حين أغوتها في إحدى الليالي، وسلطت عليها أحد الشباب لكي يوقع بها، وفي لحظة خاطفة استسلمت فيها (داليا) كانت كاميرا (موبايل) رشا ناقلًا حيًا لما يحدث.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

هكذا وجدت (داليا) نفسها تروي كل شيء بلا خوف، وتسترسل في التفاصيل حتى ما يخصها، الأمر الذى جعل الرباعي يجلس مشدوهًا كأنهم في قاعة عرض سينمائي.

ووسط هذا الاسترسال نال (نزار) عدة نظرات غيظ وحنق من زملائه حين قاطعها قائلا:

- طب أبوها وأخوها وجدتها وعرفنا... أمال أمها دي بقى حكايتها إيه؟

وقبل أن يفترسه (حمزة) بالهجوم عليه، كانت إجابة (داليا) كفيلة بإعادتهم لجو التركيز والإثارة.. حين قالت:

- أمها بقى هي سر اللخبطة اللى حاصلة في البيت ده كله!!... طنط (مديحة) فضلت لغز كبير بينها وبين جوزها لحد يوم معين، عمري ما هنسى منظر (رشا) فيه لأنها بجد صعبت عليا فيه، وعيطت لما كانت هتموت

كانت السيدة (إحسان) تخاف على سمعة العائلة، وتخشى يومًا ما تتناثر فيه أخبار (رشا)، فلم تجد بدًا سوى كتمان ما تعرفه عن حفيدتها، فضلًا عن أنها حقا بدأت تشعر بالخوف منها ومن ردود أفعالها العنيفة.

خاصة حين هددتها بقوة ذات مرة عادت فيها رشا مبكرًا ولكنها مخمورة حتى الثمالة، فتسللت لغرفتها سريعًا، ولحقتها جدتها التي شعرت بأنها ثملة، فنهرتها بشدة وجذبتها من يدها، ولكنها فوجئت بعنف مفرط منها، حيث أمسكت (رشا) بتلابيبها ودفعتها حتى جعلتها تلاصق الحائط وهي توجه لها كلمات تحذير:

- اسمعي يا ست انتي... آخر مرة باحذرك... لو ما طلعتنيش من نافوخك... وربنا هابهدلك... فاهمة.... هابهدلك

صُعقت جدتها حقًا، وشعرت بأنها ليست أمام فتاة في منتصف العشرينيات، ولكنها أمام غول شرس قادر على ابتلاع من أمامه!!

وفي يوم ما، كانت (داليا) عائدة مع صديقتها من جولة الركض الصباحية وبملابس الرياضة، وفوجئا بصراخ ما وشجار داخل البيت وبمجرد الدخول في بهو القصر، وجدت السيدة إحسان تقف في منتصف السلم وتصرخ بأعلى صوتها وكأنها تريد أن تسمع الخدم وكل الناس:

- يا خاينة يا سافلة يا حقيرة... وديني وما أعبد لأقول لرشدي لما يرجع م السفر... يجي يشوف البيت اللى ضاع... طبعاااا... من يوم ما كسر بقلب راجل البيت ونكس رايته قصاد الناس... والبيت ما بقاش طبيعي

أنا هافضحك في كل حتة.... أنا هاعرف الناس كلها إنك كنتي في حضن راجل...

وقعت هذه الكلمة كالصاعقة على قلب ومسامع (رشا) التي أبت أن تصدق ما تسمعه وهي تنظر لأمها وهي بقميص النوم وتمسك بيد (إحسان) وتحاول إيقاف صراخها، متوسلة إليها بأن تسكت.

وفي مشهد دراماتيكي تجمع الخدم وخرجوا على الصوت، وإن كان ذلك على استحياء من خلف الأعمدة وفي الأركان، لمحت (داليا) رشا وهي تبكي لأول مرة، وعيناها ترسمان الضعف والتداعي والانهيار لما رأته.

كانت (رشا) تحب أمها وتشتاقها أحيانا، ولكنها لا تجدها ولا تلتقي بها سوى ساعات قليلة على مدار الأسبوع، فهي دائما خارج البيت نتيجة لسفر زوجها المتواصل خارج البلاد.

ولم تنس أيضا (رشا) لإحسان أنها فضحت أمها على الملأ أمام صديقتها والخدم، بل ووجهت لها كلاما شخصيًا

- اتفضلي يا ست هانم ياللي لسه ما طلعتيش م البيضة شوفي أمك الكبيرة المحترمة بتعمل إيه؟!

لاقيتها في حضن (عمرو) صاحب أخوكي شريف... عارفاه؟!

- (الأم ببكاء وانهيار): كفاااية بقى كفاااية.... اسكتي حراام عليكي... اسكتي بقى!

- (تواصل إحسان): لاامش هاسكت... أنا سكت كتير.... وشريف لازم يرجع... يرجع بقى يتصرف معاكو.... طالما راجل البيت نايم على ودانه

طبعا حضرتك يا ست (رشا) مش مخضوضة.... لأنك متعودة ع الحاجات دي... وأكيد صاحبتك الزبالة دي كمان زيك... بس أنا مش هاسكت أنا هاوريكم... أنا هاوريكم.... أوعوا من وشي

غادرت (إحسان) المكان، وتركت كارثة قصمت ظهر البيت، حين صدمت الأم أيضا بسلوك ابنتها فتضاعف بكاؤها وانهيارها وراحت تلطم على وجهها وتضرب رأسها.

وابنتها جثت على ركبتيها في انهيار تام، ونظرت لها باحتقار وحنين وحسرة في ذات الوقت.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

مع طلوع شمس اليوم التالي دخلت الخادمة غرفة (مديحة) بعد أن طرقت بابها مرارًا ولم يجب عليها أحد لتجدها غارقة في الدماء بعد أن قطعت شرايين يدها، وهربت من تيار لا تقوى على مواجهته

مرت شهورعلى رحيل والدة (رشا)، والعلاقة بينها وبين إحسان تكاد تكون منعدمة، فكلاهما يتحاشى الآخر،خاصة حين يجلس الأب معهما على السفرة، فينتاب الصمت الجميع.

وبعد مرور عام اشتد المرض على (رشدي الجداوي) فأقعده عن العمل والسفر، واعترف لابنته أنه كان يعلم بخيانة زوجته، منذ بداية زواجهما وأن (شريف) ابنه ليس من صلبه ولكنه أكرمه حبًا لزوجته التي كان يعشقها ولا يريد أن يتخلى عنها. ولذلك اقتطع له نصيبًا من الثروة، ورحب بسفره وخروجه من المشهد.

توفى الأب ولم يعد في القصر سوى الجدة والحفيدة، ولاحظت (داليا) أن العلاقة بينهما أخذت منحنى ثالث، حيث سمعت من رشا أكثر من مرة أنه آن الأوان لكي تعيش بمفردها في هذا القصر، وأن هذه السيدة عاشت أكثر مما ينبغي حتى كان اليوم الموعود.

حين أخبرت (رشا) صديقتها ومعهن فتاتين أخريين و٣ شباب هم أعضاء شلتها أنها تنوي التخلص من جدتها، ولم تخش أن تعلن ذلك. أمامهم وهم ما بين مصدق ومن يظن أنها تمزح!

فبدأ الجميع يبتعد عنها، عدة أيام خوفًا من سلوكياتها المجنونة خاصة أنها أصبحت مدمنة كحوليات من الدرجة الأولى ولا يمر يوم إلا وتتناول فيه زجاجتين على الأقل من الحجم الكبير. ابتعد الجميع إلا شابين اثنين لم ينفضا من حولها، وقررا أن ينفذا معها جريمتها، مقابل وعود مغرية بمبالغ فلكية من ثروتها التي أصبحت بين يديها، ويضاف لها نصيب جدتها أيضا.

كان هذان الشابان يتبادلان معها ليالي المتعة، كل من خلف ظهر الآخر، وهي تقنع كل شاب على حدة أنه حبيبها الوحيد، وفي اليوم الذى قررا فيه التخلص من السيدة (إحسان)، تسلل الشابان إلى القصر في العاشرة مساء، واقتحما عليها غرفتها وبعد تكميم فمها وتقييد قدميها حملوها إلى (القبو) أسفل القصر... حيث كان الأخطبوط في انتظارهما.

كان المشهد كالتالي:

أحد هؤلاء الشباب فتح كاميرا الموبايل على سبيل المزاح وأخبر رشا أنه سيصور جدتها وهي تتوسل لها لترحمها

راقت الفكرة لرشا وتم تصوير الجريمة البشعة صوت وصورة لتراها (داليا) بالتفصيل بعد ذلك.

وبقدر ما كانت الجريمة مذلة وقاسية... بقدر ما كان الانتقام بشعًا ومهلكًا!!

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

يبدأ الفيديو بصورة جدران وسقف القبو القديم ذو الإضاءة الضعيفة، ثم تعتدل الصورة على (رشا) جالسة على كرسي وهي نصف مخمورة، وتضحك ملء فمها، وجدتها لا تجد حلًا إلا التوسل لها لتتركها كما طلبت منها ذلك، حتى وصل التوسل لحد البكاء وتقبيل يدي حفيدتها، وسط سخرية الشابين، حيث قال أحدهما:

- باقولك إيه يا رشا... خليها تعمل عجين الفلاحة

- (فيرد الشاب الذى يصور بالموبايل): لا لا... حرام عليكو يا جماعة دي ست كبيرة... نوم العازب يا حاجة والنبي هههههههههههه

وفي قسوة شديدة تضحك (رشا) من تعليقات صديقيها، حتى تقف من على الكرسي، وتقول:

- بااااس خلاص... قررت أسيبك تروحي

- إحسان: والنبي يا رشا... والنبي... هامشي ومش هتشوفيني تاني

- رشا: هاسيبك تروحي... بس بره الدنيا خالص هههههههههههههه

فتسحبها من شعرها على الأرض ويعاونها صديقها الشاب، ويحملانها داخل (البانيو) العتيق الممتلئ بالماء القذر، ويدخلانها عنوة فيه وهي تقاوم وترفع كلتا يديها في الهواء، وتحاول إخراج رأسها لتتنفس، مستغلة أنهما مخمورين ولا عزم لهما في مقاومة رغبتها في الحياة، حتى أنها غرست أظافرها في رقبة رشا فجرحتها، مما أثار غضبها وأفاقها نسبيًا

فما كان منها إلا أن أجهزت عليها حين خطرت على بالها فكرة قاسية لا تصدر إلا من قلب مجرم امتلأ مواتًا، حيث وقفت على جسدها بقدميها هي وصديقها لتضمن غرقها السريع، واقترب الثالث يقترب ليصور وجه العجوز وهو يغوص في الماء وعيناها الجاحظتان لا تغادران الكاميرا.

انتهى كل شيء...

(رشا) الآن وحدها تسكن أعلى القصر... وجدتها جثة تتوارى في حفرة عميقة داخل القبو أسفل القصر.

ورغم أن (الفيديو) كان مما أطلعت عليه (رشا) صديقتها (داليا) في لحظات ضعفها ومرضها، حيث كانت فاقدة لطعم الحياة، وتلجأ للاعتراف علها تستريح، إلا أنها بعد مقتل جدتها كانت تظن أن الحياة ستضحك لها وأنها ستعيش مع ملذاتها، وراحت تردد لكل الجيران ومنهم (داليا) أن جدتها إحسان اختفت فجأة، ثم ادعت أنها أصيبت ب. مرض (ألزهايمر) قبل اختفائها الأمر الذى أقنع حفيدها (شريف) حين سأل عنها.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

هيستيريا الصورة...

كان هو الخيار الأبشع... والمسار الأسود الذى اختارته لعنة (نون) لتطفئ به نار العجوز المعذبة في العالم الآخر..

وهل هناك أبشع من تلك فكرة؟!..

فالخوف في عالم الرعب يكمن دائمًا في فكرة تحريك الثابت، وما تطمئن النفس ويؤمن العقل أنه ثابت لا يتحرك ولا يتغير..

أما وقد تغير وتحرك أيضًا.. فهنا لا يجد العقل سبيلًا إلا إلى الشتات..

هكذا صُنعت (هيستيريا الصورة) وهي أقل ما تخرج به العجوز (إحسان المانيستيرلي) من حفرتها ومن قبوها، بعد أن ظلت لآخر ثانية في عمرها تحت فلاش الكاميرا وفي مرمى الصورة، فتزهق روحها تحت أقدام حفيدتها وعشيقها داخل (البانيو).

انتظرت العجوز مرور ٧ أيام تمتلئ فيهم حفيدتُها بالحياة والأمل، حتى خرجت العجوز في اليوم الثامن من قبوها القديم، وقررت أن تجهز عليها في ساعات معدودة ومع مطلع شمس اليوم بدأت مسارات نون تحيط بالقصر وتتغلغل داخله.

استيقظت (رشا) حسبما روت - منهارة وباكية - لصديقتها (داليا)، ودخلت حمامها، لتخرج منه مذعورة حين خُيِّل إليها أنها سمعت صوت أنفاس متلاحقة منبعثة من (البانيو).. ولكنها لم تبال... وفسرت الصوت على أي محمل مقنع.

وفي طريقها لباب القصر مرت بالكوريدور الكبير الذى تتشعب منه الغرف، فأوقفها ذلك الصوت الحاني الدافيء... صوت أمها حين كانت تغني لها وهي طفلة، فتتراجع خطوتين للوراء حيث الصوت المنبعث من غرفة جدتها إحسان، ثم تفتح الباب الموارب لتجد في وجهها صورة كبيرة في مدخل الغرفة ولكن صوت أمها يتلاشى، فتدخل الغرفة بحثًا عن إحدى الخادمات لعلها تنظف الغرفة وتغني..

فتجد نفسها منجذبة لصورة جدتها بشدة، وكأنها مسحورة، فتدقق في ملامحها وهي تبتسم في وقار، ثم فجأة تتغير تلك الملامح، وتختفي الابتسامة وتقطب حاجبيها وتحتد نظرات عينيها... فتسقط (رشا) على الأرض هلعًا... وتزحف على ظهرها خارج الغرفة، ثم تركض في الكوريدور في اتجاه السلم.

فوقفت لحظة لتلتقط أنفاسها، وهي لا تعي أن خلفها صورة جماعية كبيرة جماعية للعائلة حين كانت عائلة، فتلتفت حين شعرت بأن خلفها شيء ما غريب وغير مطمئن.

والتفتت لتجد صورة العائلة، فتدقق فيها لتختبر نفسها هل أصيبت بالجنون أم ماذا؟!

فتتنهد حين رأتها ثابتة، وفي ثانية واحدة، رأت جدتها (إحسان) في الصورة سواهم جميعًا، تتحرك وترمي بعصاها، وتنزل على الأرض داخل الصورة وتبدأ في الزحف في اتجاه الخروج منها!!

لم تجد (رشا) هنا قدمًا لتحملها فسقطت على ظهرها فزعًا، وتدحرجت على سلم القصر، وراحت تنادي الخدم بأعلى صوت ولكن أحدًا لم يسمع، فأعادت النظر للصورة من بعيد لتجدها ثابتة.

فتتجه فورًا إلى الخارج نحو سيارتها، وتنطلق بها بعيدًا عن المكان، وهي تبكي بصوت عال.. ثم التقطت أنفاسها قليلًا وبدأت تفكر أين تذهب؟!... فعادت أمام القصر نحو بيت صديقتها (داليا) التي لم ترها منذ ٣ أسابيع، وشعرت وقتها أنها طوق النجاة، وبمجرد أن رأت صديقتها أصيبت بالإغماء فنقلتها (داليا) مستعينة بصديقة ثالثة إلى مصحة الدكتور هاني الزيات أقرب مستشفى لهم. وبقيت فيها ٣ شهور، كلما تعرضت لصورة ثابتة تحركت أمامها وخرجت منها جدتها (إحسان)، حتى قررت الخروج واضطرت لادعاء الشفاء، بعد أن تحرش بها الدكتور هاني، ولم تستجب له نفورًا وتقززًا من حياتها القديمة، التي شعرت أنها من جلب لها اللعنات.

قررت (رشا) الخروج بعد أن علمت برغبة أخيها في العودة لمصر، واستغلال مرضها لينقض على ثروتها..

ولكنها لم تعلم أن مزيدًا من اللعنات ستجنيها بعد خروجها، فحينما كانت تفلت من هجمات جدتها كل مساء في غرف القصر وأركانه، كانت تقع تحت تهديد صديقيها بالقتل الذين طارداها وشعرا بغدرها ونكثها بالوعد.

فكانت رشا تنتظر الموت كل ليلة... إلى أن قررت أن تلتحق بوالديها اللذين سبقاها وحجزا غرفًا تليق بهما في الجحيم

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

كان وصف (داليا) وقعه كاللهيب على نفوس (حمزة) و(نزار) و(فدوى) الذين كان من نصيبهم التشرف برؤية العجوز (إحسان) في كل حالاتها، فحدثت (نزار) في الهاتف، وظهرت كصورة ل (فدوى)، ثم اختارت الثقيلة ل (حمزة)، حين جاءته في آخر صور حياتها وهي تنازع الغرق تحت أقدام حفيدتها وعشيقها.

لذلك قام الأربعة بعد هذه الليلة، في حالة تجمد ذهني وفكري، وكأنهم مخدرون لاهم خائفون ولاهم مطمئنون.

ولكنهم أصبحوا جميعًا على قناعة تامة بأنهم، قد وقعوا فريسة لا نهائية لمسارات نون وطاقاتها السوداء، ولا مفر من ذلك.. فهم الآن سيحصلون على هدنة لا يعلم مدتها إلا الله، بعد أن ارتاحت روح (العجوز) المغدورة، وعادت لمستقرها، فور أن قام الأربعة بتسليم الفيديو للشرطة لتلقي القبض على قاتليها الشابين الذين كانا من الطلقاء. وقد علم (نزار) فيما بعد أن الشابين أصيبا بحالة نفسية وخلل عقلي خلال محاكمتهما، مما جعلهما يقعان كلعبة في يد (إحسان) تتلذذ بالانتقام منهما كيفما شاءت، فتجبر أحدهما على سكب الغاز على جسده وحرق نفسه، وتسوق الثاني إلى الركض عاريًا في شوارع القاهرة نهارًا والنوم في أكوام قمامتها ليلًا.

توقفت (داليا) عن الحكي..وودعت ضيوفها وهي من داخلها تقول لهم: لا تتركوني وحدى.. ربما لأنها على قناعة تامة أن الليل لا زال طويلاً وأن ثمة زائر تنتظره وتعرفه جيداً يترقبها، وسيقضى معها بقية السهرة..

وما هي إلا أيام وكانت (داليا) نزيلة لدى مستشفى الدكتور مريد الذى أدرك بعد انتحارها أن حالتها ميئوس منها، فصديقتها قررت ألا تنفصل عنها، وساقتها في مسارات جبرية حتى رأت أن قطع شراينها هو أقصر طريق من خلاله يلتقيان.

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

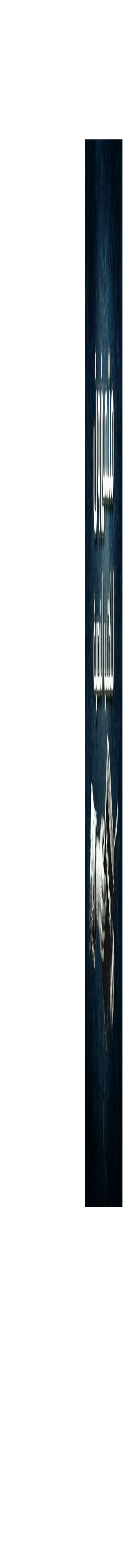
تنتهي المعاناة... وتتعاقب أيام هادئة، لا خوف فيها ولا ترقب..

وتسطع شموس دافئة على غرف آمنة، تنسى معها النفوس عذاب الماضي.. وكأنها لم تذق مرارة من قبل..

الثلاثة (مريد) و(حمزة) و(نزار) في أبهى صورة يرتدون بدل سوداء، ويركبون سيارة (مريد) الفارهة في طريقهم لقاعة الاحتفال بخطوبة (فدوى)...

فلينعم الجميع بالهدنة... فما الحياة إلا لحظات بين اللذة والألم..

∞ ∞ ∞ ∞ ∞



Group Link – لينك الانضمام الى الجروب

Link – لينك القنـاة